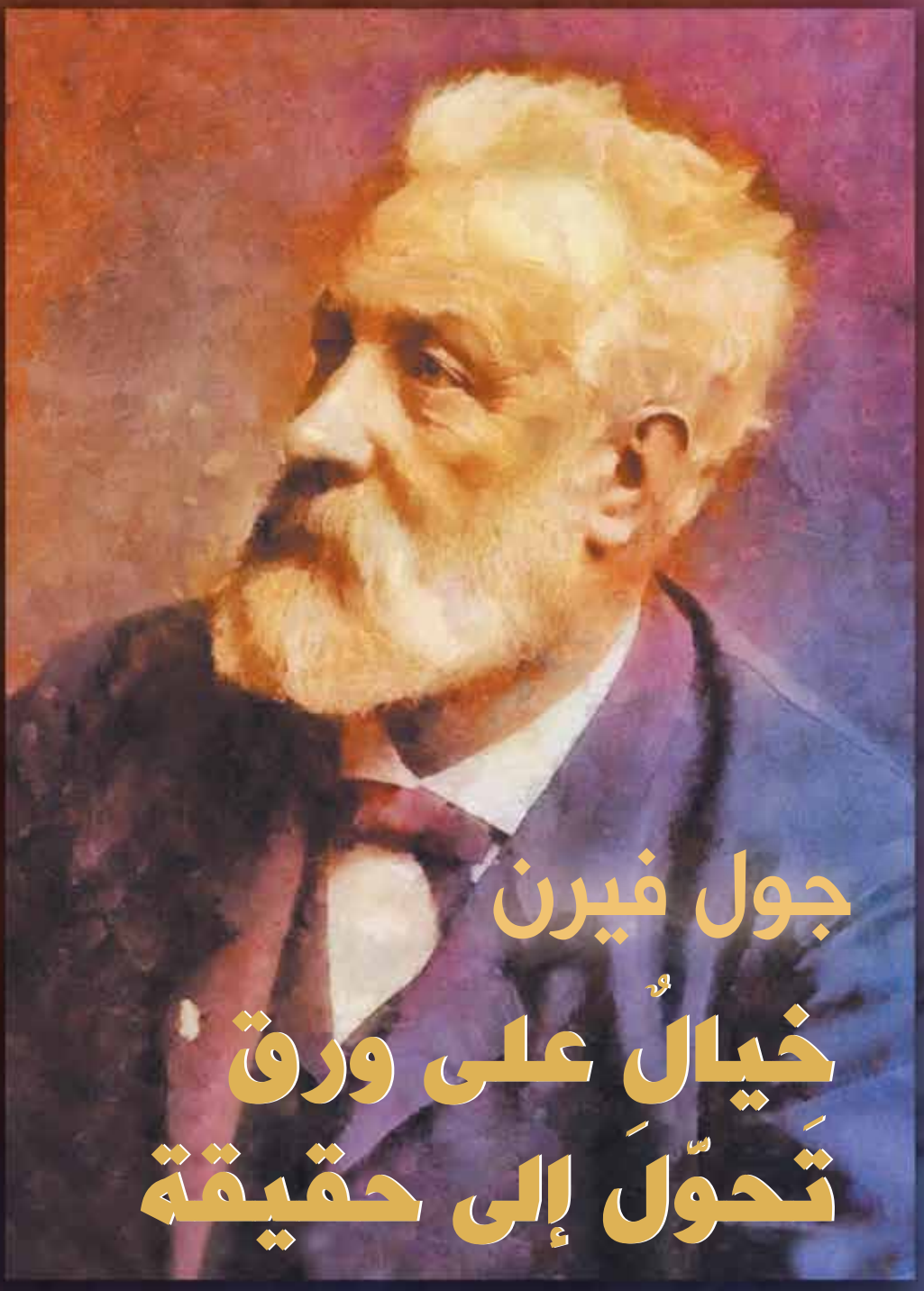

جول فيرن
خِيالٌ على ورق تَحوّلَ إلى حقيقة

كارينا أبو نعيم

كارينا أبو نعيم

«جول فيرن»

خيالٌ على ورق
تَحوَّلَ إلى حقيقة

جول فيرن

خيال على ورق تحوّل إلى حقيقة

تأليف وإعداد: كارينا أبو نعيم

منشورات مكتبة السائح

طرابلس – لبنان – شارع الراهبات

هاتف: 431549 6 00961

فاكس: 448189 6 00961

www.saehlib.com

يمنع تصوير أو نقل أي قسم من هذا الكتاب

بأي شكل أو بأي وسيلة الكترونية، أو آلية أو غيرها بدون إذن خطي

جميع الحقوق محفوظة ©

الطبعة الأولى 2021

إخراج وغلاف: ديجي برنت ش.م.م.

طباعة: ديجي برنت ش.م.م.

PRINT

طرابلس – لبنان

هاتف: 222006 6 00961

«كلُّ ما يمكن أن تتخيلَه اليوم،

سيكون في إمكان غيرك إنجازه غداً»

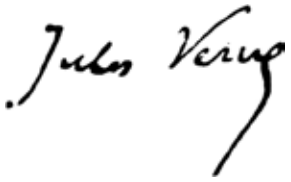

«جول فيرن» (1828-1905)

تمهيد

كيف لك ألاّ تقع تحت تأثير هذا الخيال الساحر والمتوقد وهذه المعلومات الرائعة، التي كنّا نعتقد ونحن صغار أنها من محض خيال كاتبها! مَنْ كان ليتصور أن يحل «جول فيرن»،الكاتب الفرنسي وعميد أدب الخيال العلمي، في رحاب ديارنا ونستقبله ضيفاً ونوغل معه في تفاصيل حياته، ونستعرض معه طفولته الشيّقة وننصت بإمعان إلى بنات أفكاره التي كانت تسرقه وتحبسه في غرفة مكتبه وتجعله ينكبُّ على الورق ويفرغها بريشته وحبرها،ناسياً متناسياً أن خارج تلك الجدران هناك من يفتقد وجوده ويحتاج إلى رعايته.

الكاتب الناجح يلغي حياته الخاصة، ينسى عائلته، يتغافل عن مباهجه ناكراً نفسه في سبيل العطاء، مثل أيِّ عالـم أو مخترع أو فنان ينعزل ليبتكر، يبتعد ليُبدع، ينسى نفسه ليذكره الناس بعد نجاحاته وعطاءاته للبشرية.

مضى 116 عام على رحيل «جول فيرن»، ولـم ينسَ العالـم ما قدَّمه هذا الكاتب صاحب الرؤية المستقبلية و«التنبوءات» العلمية والإنتاج الغزير، المجبول بالتعب والمتابعة والحصول على أدقِّ المعلومات العلمية والجغرافية والحسابية والفلكية والهندسية. وتسخيرها في خدمة الإنسان ضمن قالب قصصي مشوقٍ. لا يمكن أن نقول عن «جول فيرن»، الكاتب الفرنسي الذي ولِد في أوائل القرنِ التاسع عشر إلا أنه نابغة عصره، ولـم يُقدَّر كما يجب حتى الساعة.

في العام 2005، احتفل العالـم بمئوية وفاته، وأُقيمت له العديد من اللقاءات والمؤتمرات، وقُدِّمت حوله مجموعة من الدراسات. لكن حتى يومنا هذا، لـم يستطع أحد أن يُقدّم تقييماً متكاملاً حول هذا الكاتب. الملايين من رواياته بيعت وتباع على مدار السنوات بأكثر من 40 لغة، والعشرات من الأفلام السينمائية مأخوذة من رواياته. يحتل «جول فيرن» المركز الثاني بعد «أغاتا كريستي» في مبيع أعماله وترجمتها. ومع ذلك، بقي خارج الأكاديمية الفرنسية التي لـم تعترف به كاتباً ملهماً ولـم تحجز له كرسياً بين أفراد مجموعتها.

جوانب كثيرة من عالـم «جول فيرن» الكاتب لـم يسلط عليها الضوء ولـم تأخذ حيزاً واسعاً من التحليل. كان «جول فيرن» شاعراً وكاتباً مسرحياً وقصصياً وصحافياً من الطراز الرفيع، وعاشقاً للجغرافيا وللعلوم الطبيعية ومحللاً واسع المعرفة. استطاع أن يقطف ثمار نضوج العلوم والاستكشافات والتحولات في منتصف القرن التاسع عشر، وأن يمزجها ويعمل على أدق تفاصيلها ويتابعها حتى الوصول الى تصورات علمية، وإنجازات تكنولوجية تحقَّقَ الجزء الأكبر منها في عصرنا الحالي.

وُلدتْ فكرة الكتاب «جول فيرن خيالٌ على ورق تَحوَّل إلى حقيقة» بعد أن أطلقتُ صفحة على الفايسبوك وقناةً على اليوتيوب بعنوان «محطة مع كتاب»، وأعددتُ مجموعةَ حلقاتٍ وثائقية مرئية ومسموعة عبر تقنية «البرودكاست» عن كتبٍ وكتّابٍ وفنانين، وتناولتُ في كلِّ حلقة كتاباً أو كاتباً أو فناناً، وسلطتُ الضوء علىً وجهه الآخر غير المعروف أو غير المكتشف. حتى وصلتُ إلى الحلقات التي سأُعدّها عن الكاتب الفرنسي «جول فيرن».

توقفتُ كثيراً أمام هذا العملاق، وكنت من أشدِّ المعجبين بقصصه التي قرأتُ عدداً منها باللغة الفرنسية في طفولتي. لكن ما استفزني أكثر هو أنني حين بدأتُ بعملية البحث عن معلومات حول «جول فيرن»، لـم أجد إلا اليسير من المعلومات والمقالات المكتوبة حوله باللغة العربية. أبقيتُ البحث جارٍ طوال أسبوعين علَّني أجد في مكان ما في المكتبة العربية كتاباً يُحلّل أعمال «جولً فيرن» أو يدور حول ما كتبه. ..لكنني أصبتُ بخيبة أمل. لـم أجدْ إلا بعض المعلومات التاريخية في الموسوعة الإلكترونية مُعرّبةً عن الفرنسية، تتناول مراحل حياته بشكل سردي.

هذا إلى جانب مجموعةٍ قليلةٍ من المقالات التي كُتبت بالعربية حول «جول فيرن». أما من ناحية رواياته المعرَّبة فلا تتعدى الخمسَ عشرة رواية من أصل كلِّ أعماله. وسَّعتُ دائرة البحث حتى وصلتُ تباعاً إلى دراساتٍ وملفاتٍ ومقالاتٍ تحليلية وبعض الكتب التي تناولت بشكل تحليلي حياة وأعمال وأفكار وإنجازات «جول فيرن». وكانت تلك المصادر جميعها باللغة الفرنسية، مما تطلَّب مجهوداً إضافياً في عملية الترجمة والتعريب وإعادة الصياغة. رغم كلِّ تلك العراقيل، كنتُ سعيدةً جداً لأنني رافقت هذا الكاتب العظيم على مدى ثلاثة أشهر، ورصدت سنواته الـ 77 من حياته وأعماله ونجاحاته وإخفاقاته. وهكذا بدأتْ تلوح في الأفق معالـم هذا الكتاب الذي هو اليوم بين أيديكم.

وضعتُ أولاً، مجموعة تساؤلات حول «جول» الكاتب ثم «جول» الإنسان. وفي الفصل الأخير تناولتُ «جول» الذي تنبَّأ بعدد من الإنجازات التي تحققتْ بعد مرور أكثر من مئة عام.

وطرحتُ من خلال فصول الكتاب التساؤلات التالية: كيف استطاع «جول فيرن» ابن القرن التاسع عشر أن يستشرف المستقبل، وأن يطلق في رواياته سلسلة إنجازات واختراعات صُنّفتْ في يومها على أنها من نسج الخيال، لكنها تحولت في القرن العشرين إلى واقع وحقيقة؟

كيف استطاع أن يكون دقيقاً في إعطاء المعلومات الجغرافية والعلمية والهندسية والفلكية برغم أنه مجرد كاتبٍ؟

تفتقر المكتبة العربية إلى الكثير من الدراسات التحليلية الجديّة والمعمّقة حول الفنانين والرسامين والكتّاب المشهورين. إن الغاية من هذه التجربة هي «النبش والنكش»، وحثُّ الباحث العربي على ركوب غمار البحث الاستقصائي. وهذا الأمر يتطلب قراءةَ الكثير من المراجع، والبحثَ عن مصادرَ متعددةٍ وجديدةٍ ومتقدمةٍ وموثوقةٍ تخدم الموضوع، وتفتح باباً جديداً كان مغلقاً من حياة الكاتب أو الفنان. كما يتطلب الأمر أن يمتلك الباحث والقيّم على هكذا عمل النَفَس الطويل وروح المغامرة والتحدي والصبر والمثابرة دون كلل أو ملل حتى بلوغ الخواتم المرجوّة.

أتمنىَّ أن يقدّم هذا الكتاب تجربة جديدة تفتح المجال إلى إطلاق عجلة الإنتاج الفكري العربي، لأننا بأمسِّ الحاجة إلى إغناء مكتبتنا وإطلاع أجيالنا على نتاج العمالقة، وحثِّهم على التحلّي بالشجاعة ليخوضوا بأنفسهم تجارب مماثلة تكسر جبل الجليد القائم بين مفاهيم جيلهم وثقافة عمالقة الأمس.

مئة عام على وفاة «جول فيرن»

2005-1905

في حقائب سَفَر الكاتب الفرنسي الشهير «جول فيرن» قصصٌ ومغامراتٌ ورحلاتٌ دمغها شغف الاستكشاف وحبُّ السفر والتعرف إلى عوالـم أخرى، وحبُّ تعميم العلـم خاصة في مرحلة القرن التاسع عشر الذي عُرفَ بأنه قرن الاستكشافات العلمية والاختراعات التي غيّرت وجه العالم.

لـم يكن «جول فيرن» إلا واحـداً من مجموعة كبيرة من المفكرين والعلماء والمخترعين والتقدميِّن الذين واكبوا التغيير والتقطوا إشارات التحول، وساروا وراء إيمانهم بثباتٍ وعنادٍ، فنقلوا العالـم من حالة ثباتٍ وموتٍ إلى حالة حركةٍ وحياةٍ.

على خريطة رحلات كاتبنا «جول فيرن» زياراتٌ قام بها لعدد من البلدان الواقعة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط لشدة عشقه للسفر والبحر والسفن. وبمناسبة مئوية رحيله في العام 2005 احتفلَ العالَمُ بهذه الذكرى تقديراً لهذا الكاتب المبدع والملهم الذي لـم يُعطَ على قدر ما أَعطى. وكانت لي مشاركة في إحدى الصحف اللبنانية بهذا المقال تحت عنوان : «جول فيرن على ضفاف المتوسط». نُشر في آذار من العام 2005، وأحببتُ أن يكون فاتحة هذا الكتاب، وأن أكون شاهدةً من بين الملايين الذين حرَّك «جول فيرن» خيالهم منذ الصغر، ولـم يزلْ يشعل فيهم شغف المغامرة.

«جول فيرن» على ضفاف المتوسط

مقالٌ كتب في ذكرى مئوية رحيل «جول فيرن» في العام 2005

وقفَ «جول فيرن» مدهوشاً أمام جهاز الكمبيوتر المحمول آخذاً إياه بين يديه، يقيس حجمه ويتلمس مفاتيحه الملساء.

«تخيَّلتُ الكثير لكنني لـم أتوقع هكذا آلة بهذا الحجم» قال «فيرن» وهو يجلس محاولاً أن يتلقَّى المعلومات السريعة من مساعده Pass partout. بدا له الأمر شاقاً، لكن مع شرح مساعده النبيه استطاع «جول» أن يُلمَّ بالمبادىء الأساسية لكيفية تشغيل الكمبيوتر. فهو ليس بالبعيد عن ميكانيكية آلاته وأجهزته التي صوَّرها وتخيَّلها وكتب عنها في رواياته.

«مدهش» صاحَ «جول» عندما رأى صورته تتحرك أمامه على الشاشة عبر الكاميرا الصغيرة التي لا تكاد تكون أكبر من إصبع اليد.

قضى الكاتبُ الكبير يومه يتعلـم ويسبر أغوار هذه الآلة الصغيرة والعجيبة، وهو مفتونٌ كلياً بما توصَّل إليه الفكر البشري. تكلَّم «فيرن» في قصصه عن التواصل عن بعد، والرؤية عن بعد، والتحكمُّ بالآلات عن بعد، وبعض المنجزات التقنية بدقة وتفصيل، والتي كانت غريبةً كلَّ الغرابة عن واقع عصره.

بدأ «جول» يستعمل الفأرة وهو يضحك من اعجابه بتسميتها. «لقد استفاد العالـم من نفحة خيال... هذا ما كنت أتمناه». ردَّدَ في سرِّهِ.

استطاع «باسبرتوه» أن يعلِّمه كيفية استخدام القرص المدمج الذي عليه تُسجَّل وتُخزَّن المعلومات. تناول «جول» القرص بين يديه وأخذ يُقلِّبه وهو مندهش: «ما يميز هذا العصر الأحجام الصغيرة ذات المفعول الكبير. في قصصي ومغامراتي كان كل شيء كبير الحجم...»

وبعد يوم شاقٍّ سادَه عنصرُ المفاجأة عاد «جول فيرن» إلى مقصورته ليسجِّل كلَّ ما اكتشفه اليوم من معلومات قيِّمة ستنفعه في المستقبل.

لـم يكن «جـول» يعلـم أن ما ينتظره في اليوم التالي أشد غرابة. في غرفة المعلوماتية، استقبل «باسبرتوه» معلِّمَه ليعرِّفَه اليوم على فعالية الإنترنيت. وما إن بدأ يشرح له عن أهميتها وكيفية عملها حتى صاح «جول» بوجه باسبرتوه قائلاً: «شبكةٌ عملاقة كخيوط العنكبوت؟ أيعقلُ أن تكون أكبر من أيدي الأخطبوط العملاق الذي سكن المحيط وكان يهاجم الغواصات والصيادين ؟!». ضحك باسبرتوه لهذه الملاحظة الطريفة، وشرح له عن شبكة الاتصالات المعروفة بشبكة الإنترنيت وعن كيفية عملها وفعاليتها وكيف تُسهِّل الاتصال والتواصل، وتقرِّب البعيد وتوصل الأخبار بلحظاتٍ، فضلاً عن كونها قلبَ التكنولوجيا الاتصالية في يومنا هذا.

«نعم فهمتُ الآن» علَّق «جول»، وتوجَّهَ إلى المكتب حيث الكمبيوتر المركزي الذي سيأخذه عبر شاشاته في رحلةٍ إلى عالـم الفضاء الافتراضي.

لـم يفهمْ «جول» رغم كل ما أنتجَهُ من قصصٍ خياليةٍ إن كان يعيش في الواقع أم أنَّ كلَّ ما يراه هو نسجُ خياله. وظلَّ عدة أيام يحاول مراجعة ما كتبه على مسودته مُعِّداً بذلك مواد قصته الجديدة.

وفي محاولةٍ أخيرة، عاد «جول» إلى المكتب وطلب من «باسبرتوه» أن يُرشده إلى معلوماتٍ تتكلـم عن أعماله، وبذلك يكون قد اكتشف إن كانَ كلٌّ ما يحصل معه حقيقة أم خيال.

دهشَتُه لا توصف عندما رأى بأمِّ عينه كلَّ أعمالهِ ونتاجه مطبوعةً ومصورةً مع نبذةٍ عن تاريخ حياته.

عاد «جول فيرن» الى مقصورته وفي قلبه حزن عميق.فبعدما كان ملك التشويق والكاتب الأول في الخيال العلمي جاء مَنْ يتفوَّقُ عليه.

هذه الآلة التي تُعرَف بالكمبيوتر والشبكة الأخطبوطية تفوَّقتْ على خياله واستطاعت أن تُنجز الكثير بوقت قصير. بينما قضى هو أكثر من خمسين عاماً منصرفاً إلى الدراسات والتجارب والكتابات والمغامرات ليكتبَ قصةً كلِّ سنةٍ أو أكثر يستشرفُ بها المستقبل.

لكنَّ ذلك لـم يُثنهِ عن أن يبرهن مرةً أخرى أنه مَلِكُ صنعته رغم مرور الزمن.

جلسَ «جول» أمام شرفة غرفته المطلّة على البحر المتوسط يسرحُ في هذا الأزرق الكبير ويراقب السفن العملاقة الخارجة والداخلة إلى المرفأ. وعادت به الذكريات إلى مدينته «نانت» ومراكبها الخشبية وصياديها ومرفئها ومرتع الطفولة مع أخيه بول ودمعت عيناه. «يمرُّ العمر كالنسيم» تمتم «جول» ووضع دفترَهُ، وهو صديقه الذي لا يفارقه أبداً، على الطاولة أمامه حيث قرَّر صياغة النهاية لقصته الجديدة التي سيقدّمها إلى صديقه هتزل وبالقوة سيقنعهُ بنشرها لأنها ستتفوّقُ على كلِّ رحلاته الاستثنائية. غداً، سيركبُ هذه الآلة التي جاءت به إلى زمن غير زمنه، وإلى عصر غير عصره، ويعيد مفاتيحها إلى التاريخ الصحيح ليعود إلى وطنه.....

كم اشتقتُ لكِ.....كم اشتقتُ لكِ.....

حياة وسيرة الكاتب «جول فيرن»

«جول» الصغير

جول فيرن في عمر العشر سنوات

في تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً من يوم 8 شباط 1828، بتوقيت مدينة «نانت»، علا صراخ طفل مزَّقَ سكون دار آل فيرن. ركض السيد «بيار» نحو مصدر الصوت، ورأى زوجته «صوفيا» تحمل وليدها بين ذراعيها تقبِّله وتهزُّ له وتهدئ من روعه. فانضمَّ إليها ليحتفلا معاً بولادة بكرهما «جول بيار فيرن».

NANTES مدينة ساحلية تقعُ في الجزء الغربيّ من فرنسا، وتشرف على نهر لوار من الجهة الغربيّة له، كما تشغل حيّزاً ممتدّاً من بداية مصبِّ النهر إلى نهاية مصبّه في المحيط الأطلسي، ويتخلّل أراضي المدينة رافدان للنهر، وهما: الإردر، والسيفر النانتي.

في هذه المدينة وُلد «جول» وأخوه «بول» وشقيقاتهما «آن، ماتيلد وماري». اشتهر مرفأ «نانت» بحركةٍ تجاريةٍ نشطةٍ جداً. تحوَّل فيما بعد إلى مرفأ للصيادين ومراكبهم وحكاياتهم وخيبات أملهم وفشلهم وانتصاراتهم وفرحهم. إن طبيعة هذا المرفأ الواقع بين رافدي النهر ومصبه في المحيط الأطلسي، شكّلت خاصيةً جغرافيةً أشعلت مخيلة الصغار قبل الكبار. لا يمكن أن نتصور الأفكار والتخيلات التي كانت تنتاب «جول» الصغير حين كان يقصد هذا المرفأ ليلعب مع أخيه بول،

ويسرح عند المغيب في الأفق البرتقالي ويراقب أشرعة المراكب العائدة المحملة بالأسرار والأخبار والمغامرات والحكايات. اعتاد «جول» الطفل على غزو المرفأ يوميّاً والإنصات إلى قصص الصيادين وسماع أخبار مغامراتهم الشيّقة ومطارداتهم للأسماك المفترسة ووحوش البحر. اعتبر «جول» في مخيلته الصغيرة أنَّ أسرار العالم تكمن وراء هذا البحر الذي لم يشاهده قبل بلوغه الثانية عشرة من العمر.

لعبَ مرفأ «نانت» عند «جول فيرن» الطفل دوراً كبيراً في تكوين مخزونٍ كبيرٍ من القصص والحكايات وحافزاً أكبر إلى اسكتشاف ما وراء البحار. وجاءت شخصيات وأبطال قصصه ـ لاحقاً ـ بناءً على أشخاصٍ حقيقيين صادفهم وهو صغير، وسمع قصص مغامراتهم البحرية ومعاركهم الخيالية وخزن معالمهم في ذاكرته لسنوات، ليعود ويخرجهم لاحقاً ليسكنوا صفحات قصصه الغريبة ومغامراته العجيبة ورحلاته الاستكشافية.

كانت عائلة «جول فيرن» ميسورة الحال، ووالده «بيار فيرن» محامياً ناجحاً استطاع أن يؤمِّنَ لـ«جول» وإخوته أفضل التعليم المتوفر آنذاك في فرنسا.

تُعتبر عائلة فيرن من عائلات مدينة «نانت» البورجوازية وتتحدَّر عائلة والدة «جول» السيدة Sophie Allotte de la Fuÿe من أصول اسكتلندية ضمّت العديد من ملاَّكي السفن والبحَّارة.

في عمر الخامسة، أُرسل «جول» إلى السيدة سابين، أرملة قبطان قضى نحبه في البحر، ليتعلم القراءة والكتابة والحساب عندها. تشارك «جول» مع والده بيار حبَّه للبيانو فبدأ أيضاً بتعلم العزف عليه. في عمر التاسعة أُرسل «جول» وأخوه بول إلى مدرسة سانت دونتين.

يَذكرُ «جول» في كتابه «ذكرياتُ الطفولةِ والشباب»[1] العلاقةَ القويةَ التي ربطته بأخيه بول الذي يصغره بسنة واحدة، وكيف امتدت هذه العلاقة طوال حياتهما. كانا يسرحان على رصيف الشاطئ، ويذهبان في رحلات استكشافية ـ كما كان يحلو لـ«جول» أن يسميها ـ ويراقبان حركة دخول وخروج السفن من ضفَّتي النهر ومنها إلى المياه المالحة.

1 - سيرة ذاتية كتبها «جول فيرن» في العام 1890 بناءً على طلب تيودور ستانتون، صحفي أميركي ومراسل أسوشيتد برس في باريس

لـم يشاهد «جول» البحر قبل عمر الـ 12، وكان مسحوراً بالسفن والمراكب وقصص البحَّارة وتقصّي أخبار عالـم ما وراء البحار. كان الطفل «جول فيرن» في نظر والده غريب الأطوار، ولـم تكن علاقتهما ببعضهما البعض على ما يرام. لـم يتفهَّم السيد بيار أن ابنه «جول» نابغة، واعتبر شغف «جول» بالجغرافيا وحب الاستطلاع والتعرّف على الأماكن وتجميع وتوثيق المعلومات ضرباً من ضروب إضاعة الوقت.

تأثَّر «جول» كثيراً بالمناظر الخلاّبة التي كانت تشرف عليها غرفته في بيته بالريف، وكان يرى مرفأ «نانت» ومياه النهر والمراكب والسفن، وكم تمنىَّ ولو لمرةٍ واحدةٍ فقط أن يكتشف الأسرار ما وراء هذا الأفق.

حاولَ «جول» البالغ من العمر أحدَ عشرَ عامًا الهربَ بعيداً ذات يوم، واختبأ على متن سفينةٍ متجهةٍ إلى جزر الهند. لكنَّ والده استطاع أن يدرك السفينة قبل وصولها إلى المياه المالحة، وأعاد «جول» إلى المنزل. وحين حاول الوالد معرفة السبب الذي دفع ابنَه إلى ترك المنزل والهرب على متن سفينة، أجابه الابن أنه يريد السفر ليستكشف ما وراء البحار. فنهره والده وقال له : «لا هروب ولا سفر بعد اليوم إلا في أحلامك». وأصبح «جول» منذ ذلك الوقت، يسكن الوقت ليحلـم ويهرب في خياله بعيداً بعيداً.

إن الشغف الذي تملَّك الصغير المغامر والمحب للاستكشاف وولعَهُ بالسفن وفضولَهُ الكبير لمعرفة كيفية عملها وكشف ما وراء البحار والتعرف على عوالـم جديدة، كوّن لديه مفهوماً مختلفاً وجعله يُقبل على تحقيق ما يريده لاحقاً.

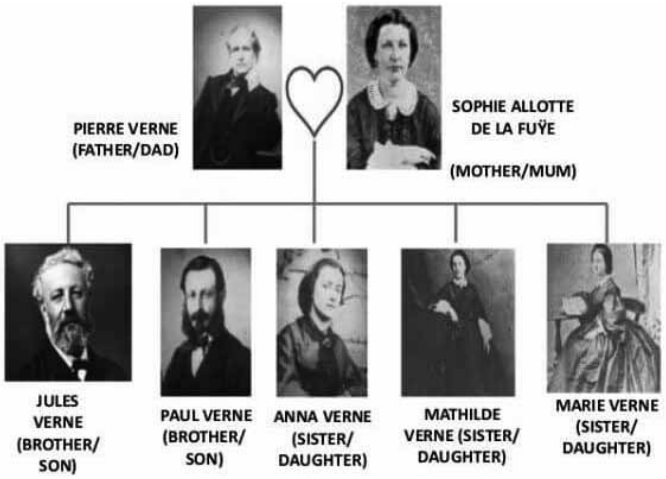

■ شجرة عائلة «بيار فيرن»

«جول» المراهق والشاعر

كانَ همُّ السيد بيار أن يُتِمَّ «جول» المرحلة المدرسية ليلتحق بالجامعة ويدرس الحقوق ليصبح مثله محامياً، ويستلم مكتب المحاماة الذي عمل جاهداً على تأسيسه. لم تكن اهتمامات «جول» توحي بأنه يسير على المسار الذي رسمه له والده. لهذا كانت العلاقة مضطربة بين الاثنين، واستمرت على هذا المنوال حتى بعد نجاح «جول» الشاب وتحوّله إلى كاتب مشهور. في رأي السيد «بيار فيرن» أن الكتابة «ليست مهنةً يمكنها أن تدرَّ على صاحبها الأموال ولا يمكنها أن تؤمنّ له مستوى معيشياً محترماً».

لم يأخذ والد «جول» على محمل الجد كلَّ الإشارات التي كانت متواجدة أمام عينيه، والتي تؤكد أن «جول» موهوب وعليه أن يدعمه، وأن يقف إلى جانبه وأن يشجّعه على غرف المزيد من المعرفة.

توفرت لـ«جول فيرن» الطفل والمراهق فرصة الاطلاع على أشهَرِ الأعمال الأدبية في عصره، لاسيما أعمال الكاتب والشاعر الفرنسي «فكتور هوغو»، التي تأثَّر بها، وسرعان ما حاول كتابة رواياتٍ طويلةٍ مشابهةٍ لأعمال «هوغو» وهو في سنِّ المراهقة.

صرَّح «جول»، في مقابلة أجرتها معه إحدى الصحف الأميركية في العام 1904،**صرَّح بأنه يبقي معه طوال الوقت قلم رصاص ودفتر، يحتفظ بهما في جيبه أينما**

جول فيرن في عمر ال 25

ذهب، وكان يكتب على أوراق الدفتر الشعر منذ سنّ المراهقة. له العديد من القصائد التي لـم تُنشر قبل العام 1989. كتب «جول فيرن» في الشعر الغنائي والساخر، كما ألَّف قصائد الحب والعديد من كلمات الأغاني التي زَوَّدَ صديقَه الملحِّن «أريستيد هينارد» ببعض منها، وكان «جول فيرن» عازفاً بارعاً عَلى البيانو. جُمعت كلمات قصائد الأغاني لـ«جول فيرن» لاحقاً تحت عنوان : «الصقيع والألحـان» وذلك في العام 1857.

كتابةُ الشعر لـم تأتِ صدفةً، فقد كانت عائلة فيرن مشهورة ببراعة ابنائها في كتابة الشعر. ففي كلِّ المناسبات التي يشاركون فيها كانوا يُطربون الحاضرين بأجمل قصائد الشعر. ولـم يخرج «جول» عن سرب العائلة الموهوبة بالفطرة بكتابة الأشعار وحبّها للموسيقى وعزف البيانو، خاصة وأنها كانت من العائلات البورجوازية المنخرطة في الحركة الثقافية في تلك المرحلة من الزمن. فشرع «جول» بكتابة القصائد وهو ابن الخمسة عشر عاماً.

لا يمكن أن نفهم «جول فيرن» الكاتب دون أن نتعرف على «جول» الصغير والمراهق. إن نتيجة ما وصل إليه «جول فيرن» الكاتب كان بناءً على ما أسّس له الطفل والمراهق «جول» منذ أن بدأ يتعلـم الكتابة والقراءة، مروراً بالشغف الذي تملّكه صغيراً وجعله يتعمّق أكثر فأكثر بمادة الجغرافيا، وأن يوثّق كل المعلومات العلمية، وكلَّ الأبحاث والاكتشافات التي نشطت في تلك الفترة، أي مطلع القرن التاسع عشر. ليعود ويستخدمها في رواياته ومغامراته، ويطورها مع نفحةٍ من الخيال لدرجة أن قسماً كبيراً من تلك الابتكارات التي استخدمها «جول» في رواياته الخيالية تحوَّلت إلى واقع وحقيقة في القرن الواحد والعشرين.

التحوّلات الكبرى في القرن التاسع عشر

كانت الحركة العلمية في أوج انطلاقها، لهذا واكبها «جول فيرن» وشهد على العديد من الابتكارات التي ظهرت بين مطلع القرن التاسع عشر حتى بداية القرن العشرين، خاصة بعد أن تحرَّر المجتمع الأوروبي من سطوة الدين وبدأ بتقبّل العلم وتفسيراته.

في تلك الحقبة من الزمن، ونحن نتكلم هنا عن بداية القرن التاسع عشر، كانت أوروبا تعيش الثورة الصناعية ودخول المكننة على معظم معاملها. لم تكن الكهرباء متوفرة بالمفهوم الذي نعرفه اليوم في المنازل والأماكن العامة والمصانع ووسائل النقل. لكنها بدأت تشقُّ طريقها إلى النور، خاصة بعد سلسلة اكتشافات قام بها كبار العلماء آنذاك ليحوِّلوا هذه الطاقة إلى قوة ونور. وكانت الحملات الاستكشافية والعلمية التي حملتها البعثات البريطانية والفرنسية وغيرها قد أضافت العديد من المعارف،خاصة وأننا قد أصبحنا في زمن بدأ يتحرر من قبضة الدين وهيمنة الكنيسة على التعليم والمعارف، ويأخذ العلمَ على محمل الجد. وبدأنا نشهد العديد من الإنجازات والاكتشافات العلمية المبنية على دراسات دقيقة. كانت هذه المحاولات قد انطلقت في أوروبا مطلع القرن السادس عشر، لكنها جوبهت كثيراً من قبل السلطات الدينية التي كانت تخشى أن تفقد السيطرة على مقاليد السلطة. جاءت الثورة الفرنسية لتضع مفاهيم جديدة أكثر تحرراً وأكثر إنسانية، رغم كل ما شابها من أخطاء، لينطلق القرن التاسع عشر، ويُطلق العنان عبر سلسلةٍ

من الثورات. لتصبح المدرسة إلزاميةً لكلِّ أطفال فرنسا ويصبح التعليم مجانياً مما غيَّر وجه فرنسا بالكامل، ورفع من نسبة المتعلمين فيها، ووسَّع النطاق ليشمل كل أبناء الطبقة الوسطى والفقيرة.

كان قرنَ الثورةِ الصناعيةِ والاختراعات أيضا، وترسّخَ لدى الكثيرين الاعتقادُ بأن التكنولوجيا لا حدود لها، وأنها ستحقق كل شيء. وكان قرنَ انتشار التعليم، وظهورِ طبقة ميسورة ومهتمة بالثقافة العامة. ما جعل الصحف تزداد انتشاراً بشكلٍ تدريجي لاسيما بعد عام 1836، عندما أخذت الصحف الفرنسية بنشر الإعلانات التي قلّلتْ من تكلفتها كثيراً. وأصبحت الصحف كذلك وسيلة للإنتاج الأدبي، حيث أخذت تنشر القصص على شكل أجزاء متسلسلة، وأصبحت إحدى وسائل النشر لكبار الأدباء في أوروبا مثل الكاتب الروسي دوستويفسكي. وكان للتطور التكنولوجي أثر بالغ في زيادة شعبية الصحف، حيث ظهر التلغراف التجاري عام 1837 ما جعل الأخبار تنتقل بين مختلف أرجاء العالـم في أقل من ثانية. وتطورت آلات الطباعة وآلات صفِّ الحروف وتم اختراع الهاتف واللاسلكي والقاطرات البخارية وتطوّرَ البريدُ وقلّتْ تكاليفه. كذلك الأمر، حصلت تغييرات على مستوى السياسة والاجتماع تمثّلت بظهور عصر الأيديولوجيات في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، وزيادة نسبة التعليم واتساع دائرة المشاركة الشعبية في العملية السياسية وما نتج عنها من تنامي الحريات الصحفية، فضلاً عن الحروب التي شهدتها أوروبا والولايات المتحدة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

الدراسةُ في باريس

أنهى «جول» الدراسة الثانوية وانتقل إلى باريس لإكمال دراسته الجامعية في القانون، ولكن هذا لـم يمنعه من المحاولة الجادة لتحقيق أحلامه، حيث انكبَّ على القراءة والكتابة، كما نجح عن طريق معارف عائلة والدته في اختراق الأوساط الأدبية في باريس، التي كانت في تلك الفترة عاصمة الثقافة الأوروبية. وبالإضافة إلى جدّيته في دراسته وكتاباته الأدبية المستمرة، انكب على معرفة آخر المستجدات العلمية والثقافية، وكانت الكتبُ والصحفُ الوسيلةَ الوحيدةَ لمعرفة ما يدور في العالم. وكانت الصحف الفرنسية في بداية القرن التاسع عشر محدودة الانتشار، بسبب تكلفتها العالية، وانتشار الفقر والأميّة.

أثناء دراسة «فيرن» للقانون، اندلعت ثورة عام 1848 في فرنسا التي أطاحت بالحكم الملكي، إذ فرَّ الملك لويس فيليب بدون مقاومة. ويَعتقدُ مؤرخون أن «فيرن» تأثَّر بمبادئ تلك الثورة، وظهرت بعد ذلك في إنتاجه الأدبي. تعرّف «فيرن» عام 1849 على الكاتب الفرنسي أليكساندر دوماس، وابنه الذي كان أديباً معروفاً أيضاً وأصبح صديقاً لهما لاسيما الابن. وساعده الاثنان في عرض إحدى مسرحياته في العام 1850 على خشبة مسرح Le Théatre Historique المشهور في باريس،والذي عرف بعد ذلك باسم Le Théatre Lyrique، بعد أن قام دوماس الابن بمراجعتها، لكنها لاقت نجاحاً محدوداً جداً. ولـم يقتصر دوماس الابن في تقديم تلك المساعدة، إذ توسَّط لتعيين «فيرن» مديراً لذلك المسرح في العام التالي.

■ مسرح الليريك

الكسندر دوما الاب

الكسندر دوما الابن

راسلَ «جول» والديه طوال سنوات دراسته في باريس، وكان ينقل لهما في رسائله كافة الأجواء، ويشرح لهما عن أهمية تواجده في العاصمة الباريسية وضمن الأوساط الثقافية المرموقة بعد أن انغمس في مباهجها وملذاتها، وهذا يتطلب منه الاعتناء بمظهره الخارجي. وكان يشير دائماً إلى ضرورة أن يكون له مردود أفضل من المبلغ الذي يرسله له والده، لهذا كان عليه أن يجد مصدر رزقٍ بينما كان يتابع دراسته في الحقوق. وفي عام 1851، نشر «فيرن» أولى قصصه بعنوان «رحلة في منطاد» في مجلة ثقافية اسمها « متحف العائلة» Le Musée des familles التي يديرها «بيتر شوفالييه»، وكان ردُّ فعل القُّراءِ جيّداً. وكان لهذا النجاح أثر بالغ في تحديد اتجاه «فيرن» في نوع جديد من الأدب، ألا وهو مجال الخيال العلمي. لقد كانت مغامرةً شيّقةً تميزت بآخر ما توصل إليه العلم في تلك الفترة، وتدور أحداثها في إحدى المناطق البعيدة. وقد تلقَّى تشجيعاً على ذلك من دوماس الأب، الذي كان قد قام بمحاولة غير ناجحة في هذا المجال.

بعد أن أيقن «بيار فيرن» أن ابنه «جول» مصمم على البقاء في باريس أرسل له رسالة ليطلبَ منه العودة فوراً إلى «نانت». أجابه «جول» برسالة أخرى حيث كتب فيها: «**أن أَتركَ باريسَ الآن بعد أن قضيتُ فيها سنتين، يعني ذلك خسارة كل معارفي والقضاء على ما توصلت إليه. ... دعني أصلح الأمر...**»

على الرغم من إنهائه دراسة القانون بنجاح وحصوله على رخصة العمل محامياً، فقد قرر «فيرن» التفرغ للعمل الأدبي، ما أثار حزن والده الذي ألحَّ عليه لترك الكتابة الأدبية والتفرغ للمحاماة، إلى درجة أنَّه عرض عليه أن يحلّ محلّه في مكتب المحاماة الخاص به، ولكن بدون جدوى. في العام 1857 تزوَّج «جول فيرن» من أرملة لديها طفلتين مما زاد في أعبائه المالية، فاضطر إلى العمل في البورصة بكل جهده، لإعالة عائلته، بدون أن يمنعه ذلك من الكتابة الأدبية. فقد كان يكتب في الفجر قبل ذهابه إلى العمل، ويكمل العمل بعد عودته إلى المنزل، كلما سمح له الوقت. وتعرف في تلك الفترة على أحد المصورين المشاهير الذي كان كذلك من هواة المناطيد حيث كان أول من صور المدن من الجو، وكانت أولى محاولاته تصوير مدينة باريس 1858. وأسس الاثنان عام 1862 جمعية أبحاث الملاحة الجوية، حيث كان «فيرن» أمينها العام.

ولادة «جول فيرن» الكاتب

في صيف 1862، التقى «جول فيرن» Pierre-Jules Hetzel أحد أشهر الناشرين في فرنسا، الذي كان يخطّط لإصدار مجلة نصف شهرية تضم مقالات أدبية وثقافية من أرقى المستويات. وعلى ما يبدو أنه كان يتمتع بقدرةٍ على الإقناع، إذ توصّل الاثنان إلى اتفاقٍ نصَّ على تزويد «فيرن» الناشر بروايتين أو ثلاث روايات كل عام مقابل عشرين ألف فرانك لمدة عشرين عاماً، على أن تُنشر كل رواية على شكل سلسلة في تلك المجلة. كان «فيرن» مستعداً لقبول أي شيء في تلك اللحظة، بسبب المبلغ المالي الذي لم يستلم مثله سابقاً، ورغبته الشديدة في الحصول على الشهرة.

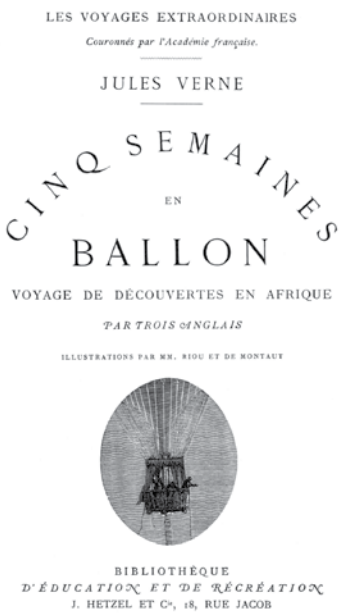

■ رواية «خمسة أسابيع في منطاد»

قدم «فيرن» له خلال أسبوعين رواية «خمسة أسابيع في منطاد» التي كانت مستوحاة من رحلة صديقه بالمنطاد، ونُشرت تلك القصة يوم الحادي والثلاثين من كانون الثاني عام 1863. تناولت هذه الرواية مجموعةً من البريطانيين يقومون برحلة استكشافية في أفريقيا على متن منطاد. وكان موضوع الرواية مثالياً، حيث كانت الصحف الفرنسية آنذاك تعجُّ بالأخبار عن الاكتشافات في إفريقيا وأصبحت

شغل الكثيرين الشاغل، ما سبب نجاحاً فورياً وكبيراً للرواية. واستمر العمل على هذا المنوال، حيث نشرت الروايات بشكل متسلسل في الجريدة، وكانت تُجمع كذلك على شكل روايات كاملة قبيل نهاية السنة، وفي ثلاثة أشكال من حيث التكلفة، كي تكون هدايا لأعياد الميلاد.

واستمرَّ التعاون السلس بين الاثنين، فنشر «فيرن» أشهر رواياته مثل «رحلة إلى مركز الأرض» (1864) و«من الأرض إلى القمر» (1865) و«عشرون ألف فرسخ تحت البحر» (1869) و«حول العالـم في ثمانين يوما» (1872) التي تحوَّلت في ما بعد إلى أفلام سينمائية شهيرة مثّل فيها أشهر نجوم هوليوود.

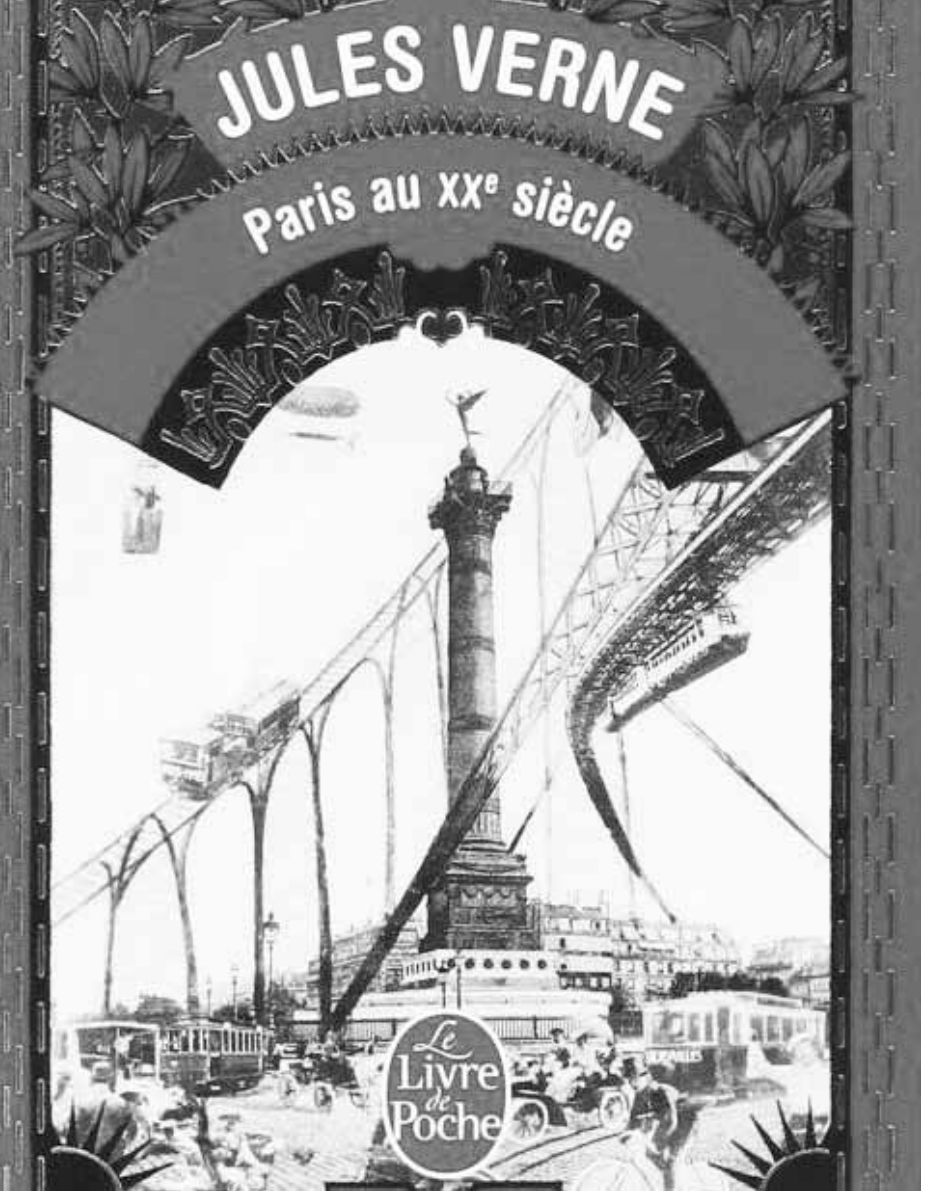

رواية «باريس في القرن العشرين»

في العام 1863، قدَّم «جول» لهتزل روايةً بعنوان «باريس في القرن العشرين»، فما كان منه إلا أن رفض نشرها بعد أن قرأها متعللاً بأنها كئيبة، وأن أحداً لن يصدق ما تحويه من تصورات ورؤى مستقبلية عمَّا ستكون عليه باريس في القرن العشرين،وقد يؤذي كل ذلك نسبة مبيعات الرواية.

عاد «جول فيرن» إلى منزله غاضباً ومستاءً من تصرف هتزل. فما كان منه إلا أن قرر إخفاء مخطوطة هذه الرواية ربما إلى مرحلة أخرى يمكنه أن ينشرها فيها. ومرّتْ السنوات وكان نجاح «فيرن» في توهج مستمر ونُسي أمر هذه الرواية إلى أن عثر عليها ابن حفيد فيرن، «جان فيرن»، مصادفةً ليتم نشرها عام 1994 وبعد 131 عاما من كتابتها.

تخيّلوا أن «جول فيرن» وصف باريس القرن العشرين في هذه الرواية مكتظةً بالسيارات والطرق المعبدة وقطارات الأنفاق، ومراقبة السلطات للمواطن عبر التكنولوجيا، والقطارات التي تعمل على المغناطيس وأجهزة الفاكس والمصاعد وإنتاج الكهرباء من الريح والسيطرة على الأسلحة عن بعد وانتشار التعليم. ولكن كلُّ هذا لـم يكن أهمَّ ما توقعه بالنسبة لمصير البشرية، لأنه رآها ذاهبة نحو اضمحلال الأخلاق وتراجع المفاهيم الإنسانية أمام تعاظم قوة المال والتكنولوجيا بشكل مقرف، وإهمال الثقافة التامة واحتقار العالـم للمثقفين والمفكرين. ولعلَّ «فيرن» قد شعر بكل هذه الجوانب السلبية في عصره فتوقع زيادتها الكبيرة في المستقبل.

جان فيرن

أما كيف تم اكتشاف مكان هذه الرواية بعد مرور أكثر من مئة وثلاثين عاماً على كتابتها، فالأمر يستحقُّ متابعة تفاصيل هذه المغامرة مع ابن حفيد كاتبنا، «جان فيرن».

ذكر «جان فيرن» في مشاركة له ضمن ملف تكريم «جول فيرن» لمناسبة مرور مئة عام على وفاته في العام 2005، ذكر بالتفاصيل كيف اكتشف هو بنفسه مخطوطة هذه الرواية. يقول «جان فيرن»: «**بالرغم من كل المحاولات اللاحقة بعد موت «جول فيرن» في العام 1905، وتجميع كافة أعماله لـم يجدوا مسودة هذه الرواية حتى اعتقد أحفاد «جول فيرن» أن تكون قد**

تلفت خلال الحرب العالمية الأولى في العام 1914، أو سُرقت في العام 1940 خلال الاحتلال الألماني لفرنسا. وعمدوا إلى البحث والتدقيق في ألمانيا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية آملين إيجاد مخطوطة هذه الرواية الناقصة، والمكمِّلة بوجودها لمجموعة أعمال «جول فيرن» الأدبية المعروضة في المتحف الخاص به في مدينة «نانت». حتى وصلت الأمور إلى أن شكّك البعض بوجودها أصلاً. كان في كاراج أبي وهو ابن ميشال «جول فيرن»، خزنة حديدية ضخمة وقديمة جداً مركونة في زاوية هذا الكاراج. لم نكن نملك لا مفاتيح الخزنة ولا أرقام فتحها ولم يجرؤ لا أبي ولا جدي ميشال على فتحها لأنه لا يوجد شيء بها من الأساس لكنهم أبقوها كذكرى من الكاتب المشهور. بعد وفاة والدي أحببت أن أعيد ترتيب الكاراج، وحين نظرت الى هذه الخزنة أحسست أن وجودها هنا يشير إلى شيء معين، ولكن مع كل المحاولات الفاشلة في فتحها وخلع بابها قررت في النهاية أن أستعملَ المتفجرات. بعثرَ الانفجارُ محتويات الخزنةَ إلى ثلاثة أجزاء. اكتشفتُ في الجزء الثالث مجموعة أوراقٍ استَلَمتْها والدتي مني على الفور ووضَعَتْها في خزانة المكتبة. بعد سنوات عديدة، وبالتحديد في العام 1989، قررت أن أفتح الأوراق التي وجدتها في الخزنة القديمة.كانت عبارة عن بعض الأوراق المكتوب عليها باللغة الروسية،بالإضافة إلى أوراق مطوية مربوطة بخيط في وسطها، تشبه المخطوطات التي كان يكتب عليها «جول فيرن» أعماله ومهورة في أسفل الصفحة بعنوان «باريس في القرن العشرين». اعتقدت للوهلة الأولى أن تكون هذه مخطوطة روايةٍ لم يجرؤ جدي ميشال «جول فيرن» على نشرها، لكن على الرغم من عدم كوني متخصصاً في أعمال «جول فيرن» في ذلك الوقت، لكنني أذكر جيداً خط يد جدنا «جول»، خاصة وأنني حين كنت صغيراً كنتُ أمرِّرُ قطاري على مخطوطاتٍ تعود لـ«جول فيرن» مكتوبة بخط يده، ومحفوظة في المنزل وذلك قبل أن يُصار إلى وضعها في متحف «نانت». بعد هذا الاكتشاف والشك الذي اعتراني أردتُ أن أتأكدَ، فتواصلتُ مع الاختصاصي المشهورPiero Gondolo della Riva الذي يهتمُّ اليوم بمتحف «أميان» الخاص بأعمال «جول فيرن»، سألتُه إن كان هناك أي نقص في مخطوطات أعمال «جول فيرن» وكانت المفاجأة إذ قال لي:«نعم...ينقصنا مخطوطة واحدةً هي «باريس في القرن العشرين» وكان آخر أثر لها في العام 1913 لتختفي من بعدها....»

يؤكد جان فيرن أن العائلة أرادت وبإصرار نشر هذه الرواية رغم مرور 131 سنة على كتابتها، فجاء أول إصدارٍ لها في العام 1994 وقد حصلت على ترحابٍ كبير جداً من القرَّاء وإعجابٍ يفوقُ الخيال ونسبِ مبيع خيالية.

Pierre Jules Hetzel الناشر

كلُّ مَن اطلعَ على مسار حياة «جول فيرن» المهنية وأعماله الكتابية المبدعة، يدرك تماماً أن Pierre Jules Hetzel لـم يكن مجرد ناشر يحب تشجيع الكتّاب اليافعين والمغمورين، ويأخذ بيدهم ويطبع لهم أعمالهم ويتكبد الخسائر في معظم الأحيان، لا بل كان صاحب رسالة واضحة منذ بداية انطلاقته في عالـم الكتابة والنشر والثقافة. من هنا يستحقُّ هذا الرجل أن نتوقف قليلاً لنتعرف عليه أكثر.

ولد «بيار جول هتزل» في 15 حزيران من العام 1814 وتميَّز منذ الصغر بميله الشديد للأدب واحترام الصداقة. سرعان ما برزت ملكات هتزل الأدبية أيام الدراسة لتعلن عن الكاتب والصحفي المقبل، وبسبب تفوقه حصل على منحة دراسية وسافر إلى ستراسبور لدراسة القانون. وما أن بلغ الواحدة والعشرين من العمر حتى قرر أن يتكفّل بنفسه فغادر ألمانيا متجهاً إلى باريس.

وفي باريس، قام Paulin صاحب دار نشر ومكتبة على نهر السين Seine بتعيين «هتزل»، ولـم يندم على اختياره هذا. فقد كان «هتزل» موظفاً متميزاً دونما غيره من الموظفين. إذ كان مثقفاً، طموحاً، مُجدّاً، ومصمماً على شق طريقه في عالـم الأدب والنشر. ومع أن الآمال لا تعني الثراء، فقد اضطر «هتزل» إلى الإقامة في شقة صغيرة متواضعة في الطابق السادس تتفق مع دخله المحدود الذي يأتيه من عمله.

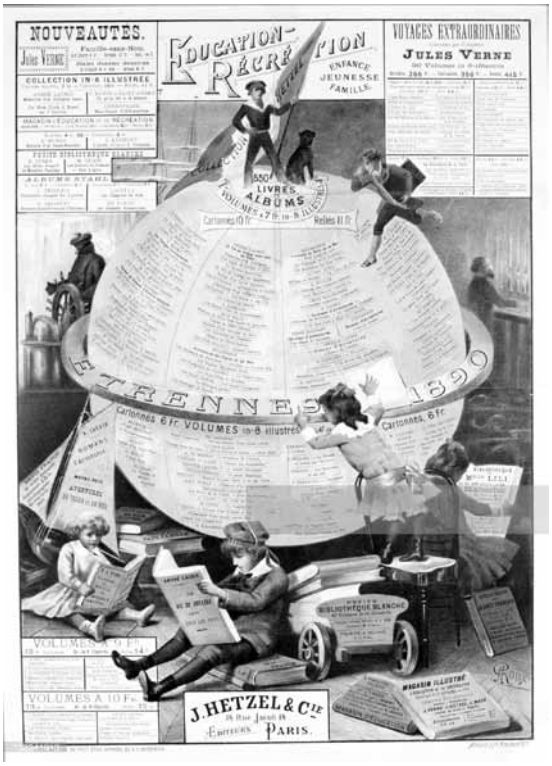

عدد من المجلة التي كان يصدرها هتزل وينشر فيها قصص «جول فيرن»

في العام 1837 قام «بيار جول هتزل» بتأسيس دار نشر باسمه في شارع السين في باريس، وهو واحد من أهم الشوارع التي تزخر بالمكتبات وقاعات العرض. ومنذ بداية مشواره قرر «هتزل» الاهتمام بنشر أدب خاص للشباب. ويعد نشر كتاب «مناظر من الحياة العامة

والخاصة للحيوانات» الذي كتبه ونشره عام 1839 البداية لذلك المشوار الطويل في عالـم الطباعة والآداب. ومن الطريف أن «هتزل» نشر مؤلفاته تحت اسم مستعار هو P. J. Stahl ولـم يكتشف أصدقاؤه أو معاونوه حقيقة اسم «ستال» إلاّ بعد فترة طويلة.

اهتم «هتزل» بنشر أعمال الكتَّابِ الذين لـم يصبهم نصيبٌ من الشهرة في حياتهم، مثل الأديب «ستاندال». ذلك لأن «هتزل» كان فناناً حقيقياً قبل أن يكون ناشراً جامعاً للمال. فكم من مرة كاد يغرق وسط الديون والخسائر، إلا أن طبيعته الإنسانية كانت السند الذي يعتمد عليه لتخطي الصعاب.

هرب «هتزل» مع العديد من المفكرين والأدباء والسياسيين إلى بلجيكا في العام 1852 بعد أحداثٍ وتقلباتٍ سياسيةٍ في فرنسا أرغمتهم جميعاً على الفرار قبل الاعتقال والمحاكمة. عاش في المنفى قرابة السبع سنين، وكانت زوجته تدير دار النشر في غيابه. استطاع «هتزل»، رغم نفيه من فرنسا، أن يعود إليها لشهرٍ واحد من أجل نشر طبعة شعبية لأعمال «فيكتور هيجو» الشاعر الفرنسي المشهور الذي كان رفيق «هتزل» في المنفى. كما استطاع «هتزل» أن ينشر من لندن كتاب «فيكتور هيجو» المعروف بعنوان «نابليون الصغير» الذي كان يهاجم فيه الحاكم الجديد. كما واصل الكتابة تحت اسمه المستعار. في العام 1859 حصل «هتزل» على العفو وعاد إلى باريس، وترك داره القديمة ليشتري داراً أخرى بجوار المعهد الفرنسي. لـم تكن عينُ «هتزل» الثاقبةُ تغفلُ موهبةً متألقةً أو في أولى خطواتِها تمرُّ دون أن تلمحها. فسواء كانت هذه المواهب قد رحلت عن هذا العالـم أو تعيش في عصره أو ستزدهر في المستقبل.

راودَهُ حلمٌ قديم بإصدار مجلة أدبية للجميع أي مجلة تَشدُّ انتباه الشباب والكبار، مجلة لكل الأعمار، بأقلام كبار الأدباء وتزينها ريشة كبار الرسامين. تحقق هذا الحلـم عبر انشائه مجلة éducation-récréation حيث يمكنكم قراءة قصص «ستال» الشاعرية اللطيفة، وروايات كل من «جان ماسيه» و«جول فيرن» والرسوم المتحركة التي لا تقارن بمثيلاتها في القرن العشرين. من المعروف أن «هتزل» كان اليد الخفية التي عاونت الكاتب «جول فيرن» صاحب العقل الصاخب بخيالاته، على تهذيب

أسلوبه المملوء بالأخطاء. فقد كانت الصداقة بينهما تعد مثالاً على التعاون الخلاّق المثمر المتواصل.

توفي «بيار جول هتزل» في 17 آذار من العام 1886 في مونتِ كارلو. بعد وفاته، تابع ابنهُ لويس أعمالَ النشر وتم شراء دار النشر الخاص بـ HETZL لاحقًا بواسطة Hachette في عام 1914.

وسطَّرَ «هتزل» نهاية حياته قائلاً: «**أرقبُ مجيء النهايةِ....نهايةِ حياةٍ لـم تعد ذات فائدة لأحد...إنني أترك مكتبة أُنفقتُ عليها كلَّ قواي. ...ولستُ نادماً على ما فعلت**».

بين «جول» و«بيار»

في 31 كانون الثاني من عام 1863، نشر «جول هيتزل» أولَ روايةٍ لكاتبٍ غير معروف وهي «خمسة أسابيع في منطاد» لـ«جول فيرن». كان عدد الطبعة الأولى من هذه الرواية 2000 نسخة.

نَفَذَتْ الطبعةُ الأولى من «خمسة أسابيع في منطاد» وأُعيدتْ طباعتها عدة مرات، وقام أحد رجال الصناعة ببناء منطاد ضخم، يشبه الذي استُجدم من قبل أبطال الرواية. ولما فرغ من صناعته، أقام حفلاً لتدشينه ودعا إليه جمهوراً كبيراً بالإضافة إلى «جول فيرن» بكونه كاتب الرواية. تم بيع 76000 نسخة من «خمسة أسابيع في منطاد» خلال حياة الكاتب «فيرن».

لاقتْ رواية «حول العالـم في ثمانين يوم» نجاحاً وشهرةً أوسع، لهذا تمت طباعة 108000 نسخة منها خلال حياة كاتبها.في العام التالي، وقّع «جول فيرن» مع هتزل عقداً تعهد بموجبه بتزويد دار النشر بروايتين أو ثلاث روايات سنوياً ضمن المجموعة التي عُرفت بالرحلات الاستثنائية Voyages Extraordinaires والتي مثَّلتْ ما مجموعه 62 عنواناً مجمعة في 47 مجلداً. لـم يكن «جول فيرن» مؤلّفاً غزير الإنتاج في دار هتزل فقط، لكنه كان أيضاً مديراً مشاركاً لمجلة التعليم والترفيه، وهي مجلة دورية أسسها هتزل وجان مارسيه بهدف تقديم تعليم جاد وجذاب للأبناء وأهلهم في نفس الوقت.

لعب «بيار جول هتزل» في حياة «جول فيرن» دورَ المديرِ الضابطِ والصديقِ الناصح والداعم الأمينِ. صحيحٌ أن لولا موهبة «جول فيرن» الخارجة عن المألوفِ لَمَا كانَ نجح الثنائي في توسيع أعمالهما، وانتشار رقعة نجاحهما وشهرتهما، لكن يبقى «بيار جول هتزل» هو قائد هذه السفينة لأنه يمتلك مهارةً عالية في إدارة الأعمال ونظرةً ثاقبةً وبعيدةَ المدى. تمتَّع «جول فيرن» بخيال جامح وغزارة في الإنتاج وهذا الأمر يتطلَّبُ التفرغَ الكامل والتركيز وعدم الانشغال بأيٍّ من الهموم أو المسؤوليات الأخرى. كان المطلوب من «جول فيرن» الكتابة والإنتاج وكان على عاتق «بيار جول هتزل» الطباعة والنشر والتسويق. تحكَّمَ هتزل في العديد من مخطوطات أعمال «جول فيرن». فكان يسجل كلَّ الملاحظات والتصحيحات ويسمح لنفسه بالتدخل في الكثير من التفاصيل في أعمال «جول فيرن».

انصبَّ تركيز «هتزل» على «جول فيرن» بشكل كبير لأنَّ هذا الكاتب الشاب قد جسَّد له كل ما كان يحلـم به. ومنْ يعتقدُ أن «جول فيرن» قد اتكلَ على خياله في كل شيء فهو مخطئ. تطلبتْ روايات عديدة من «جول فيرن» السفر وإعداد الأبحاث العلمية ومتابعة أحدث الاكتشافات العلمية ورصد المعلومات الدقيقة غير القابلة للشك. صحيحٌ أنه من صُلبِ عمل أي كاتب أو أديب إعداد قاعدة المعلومات والمصادر لعمله الأدبي قبل أنَ ينطلق به، إلا أن «جول فيرن» تميَّز كثيراً بصفات عديدة تجسدت به. فقد حضن ضمن شخصية الكاتب أسلوب الصحفي

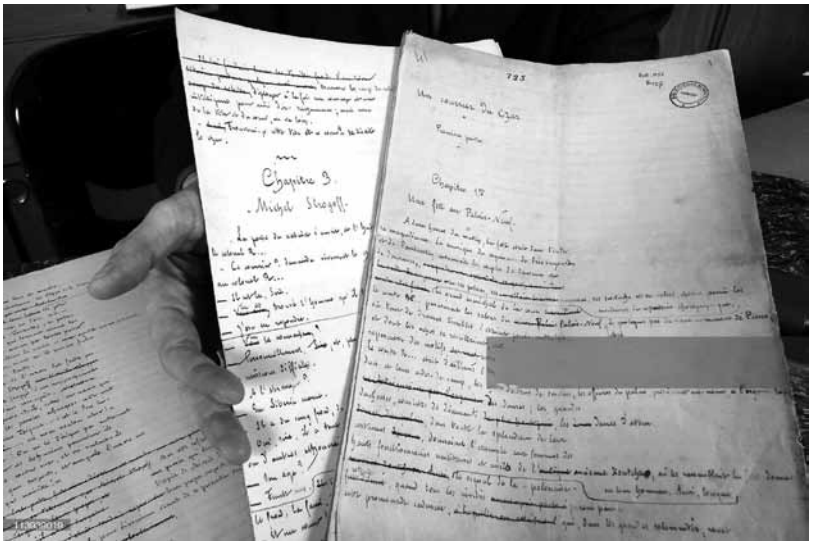

مخطوطة ميشال ستروغوف بخط يد «جول فيرن»

الفذ وروح الباحث العلمي الدقيق وصبر العالم. سبقَ «جول فيرن» عصرَهُ بأشواط وتحضَّر منذ الصغر إلى هذا القدر وعمل جاهداً طوال حياته على غرف المزيد ولـم يضيّع فرصةً إلا واقتنصها، خاصة وأن أجواء القرن التاسع عشر كانت مهيئة لمجموعة متغيرات على رأسها متغيرات تكنولوجية وثورة صناعية واكتشافات كبيرة واختراعات جديدة.

كل هذا لـم يمنع هتزل من أن يتدخّل في مسودة أعمال «جول فيرن» والسماح لنفسه بإجراء التصحيحات اللغوية والتدخل في كثير من التفاصيل. فبعد أن كانت العلاقة بين «هتزل» و«فيرن» تسير على ما يرام جاءت رواية «عشرون ألف فرسخ تحت البحر» لتعلن نقطة التحول في العلاقة بين الرجلين. كان بطل الرواية «الكابتن نيمو» (نيمو كلمة لاتينية تعني «لا أحد») في النسخة الأولى بولندياً ينتقم من الروس الذين قتلوا عائلته.اعترض هتزل على هذا الأمر لأن ذلك كان سيعني فقدان الجمهور الروسي الذي كان جزءاً مهماً من قرَّاء روايات «فيرن». ولـم يُرقْ هذا لـ«فيرن»، وبعد جدال بين الاثنين تم الاتفاق على إلغاء جنسية البطل وجنسية ضحاياه مع إبقاء بقية التفاصيل، ولكن العلاقة بين الرجلين تغيرت بسبب هذا الجدال، وأخذ «فيرن» يجادل «هتزل»، كلما أبدى اعتراضاً بشكل متزايد. وقد يكون أحد أسباب اعتراض «فيرن» أن موقفه عام 1869 كان مختلفاً عن ذلك الذي كان عليه عندما أبرم الاتفاق مع الناشر 1862. فقد أصبح كاتباً مشهوراً وفي مستوى مالي أفضل بكثير، وكان هتزل يعتمد على رواياته في مبيعات المجلة. واستمرت شهرة «فيرن» في الازدياد حتى بلغت أوجها عام 1872.

ظلَّ «جول فيرن» يبيع ملايين النسخ من كتبه وعرضت عليه مبالغ خرافية من ناشرين آخرين لشراء كتبه، لكنه رفضهم جميعاً وبقي وفياً للناشر بيار هتزل وجمعا معاً ثروة طائلة، لكن «فيرن» ظلَّ يعيش مع زوجته وأولادهما الثلاثة عيشة بسيطة في بيت متواضع.

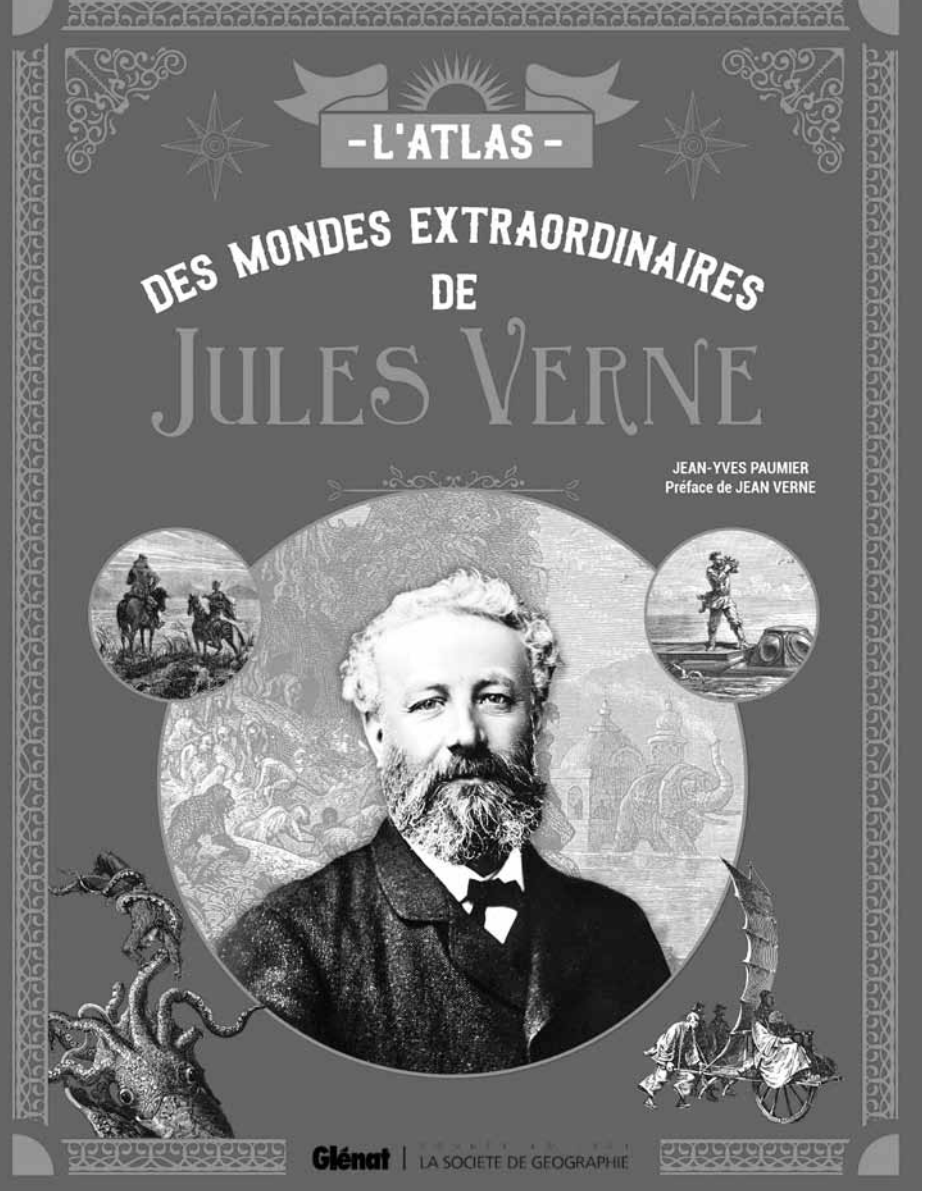

مراحل ومحطات مهمة في حياة «جول فيرن»

عرف «جول فيرن» الشهرة والمال وهو على قيد الحياة. وعرف كيف يستمتع بما كان يجنيه. لكن بقيت بعض الأمـور ـ العائلية خاصة ـ تنغّص عليه عيشته وشهرته وثروته. ربما لا نملك الكثير من المعلومات المفصّلة حول «جول فيرن» الرجل وعلاقته بزوجته وابنه ميشال بالتحديد، إلا أننا يمكن أن نستخلص بعض الملاحظات من سياق الأحداث التاريخية التي طَبَعَتْ حياة كاتبنا. سعى «جول فيرن» إلى الاستقرار فتزوج أرملةً لديها ابنتان وأنجب منها ولداً واحداً هو ابنه ميشال. طبيعة عمل «جول» جعلته بعيداً جداً عن عائلته خاصة حين بدأ مشوارُ شهرتهِ يتخذُ منحىً تصاعدياً، فكان من الطبيعي أن يحتاج «جول» إلى عزلةٍ ووحدة وتركيز كبير. لـم يبخل على عائلته بأي شيء، وهذا كان جلياً في أسلوبِ العيش الذي اتبعته العائلة، ولكن كما تشير بعض المصادر سبَّبَ ميشال المشاكلَ لوالده خاصةً لجهة كونه ابنه الوحيد واتكاله المطلق على ثروة أبيه وعدم تحمل المسؤولية وإيقاع نفسه بالعديد من المشاكل المالية التي كان يسارع والده لإصلاحها عبر تسديد هذه الديون.

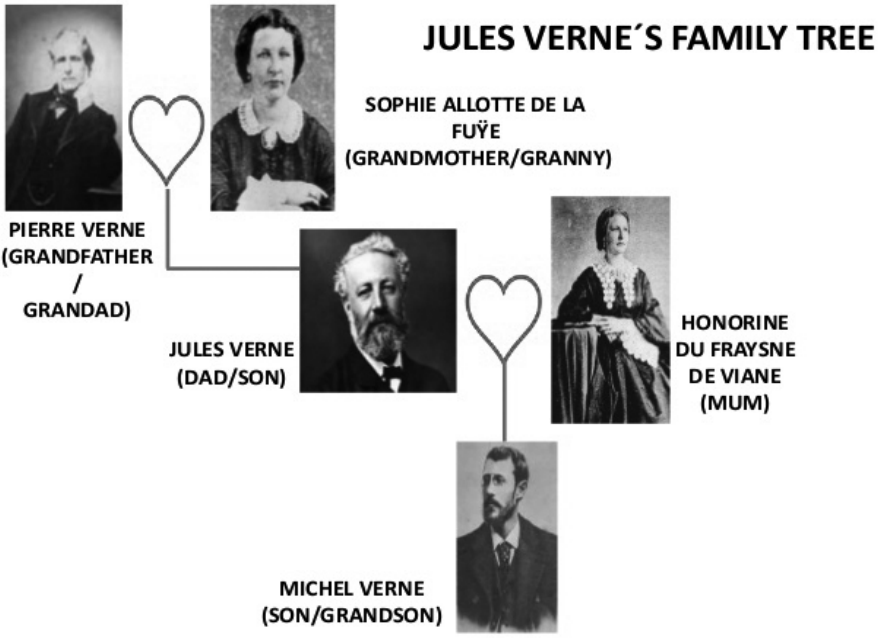

■ عائلة «جول فيرن»

تنقسم حياة كاتبنا الشهير «جول فيرن» إلى عشرين عاماً قضاها في «نانت» مسقط رأسه وثلاثة وعشرين عاماً في «باريس» وأربعةٍ وثلاثين عاماً في «أميان».

انتقل في العام 1872 للعيش في «أميان» مسقط رأس زوجته مع ابنتيها من زواج سابق وابنهما ميشال، واستقر فيها بشكل نهائي. عاش حياة اجتماعية ممتازة وكان يستقبل العديد من الأشخاص المرموقين في المنطقة. لكن في الواقع كان يفضِّل بدل هذا الترف الاجتماعي أن ينعزل في مكتبه ويعمل وينتج. انتُخب عضو مجلس بلدي في العام 1888 تتويجاً لانجازاته الطويلة.

رغم أن «جول فيرن» سافر بنا إلى مختلف البلدان، وجعلنا نزور مختلف القارات، ونتعرف إلى حضارات وعوالم غير مكشوفة وعادات غير معلومة وأشخاص جدد، ونغوص معه في أعماق البحار، ونسافر نحو القمر، ونغزو باطن الأرض، لكن في الواقع لم يسافر هو بنفسه إلى أي مكان قبل العام 1859. ففي هذا العام، سافر «جول فيرن» لأول مرة في حياته وكانت وجهته إنجلترا واسكتلندا. شاركه في السفر صديقه Aristide Hignard، وهو مؤلف موسيقي من مدينة «نانت». وحين تعاقد «جول فيرن» مع الناشر هتزل في العام 1862 وقبل أن يقدِّم له روايته «خمسة أسابيع في منطاد» قدَّم «جول» لهتزل روايته Voyage en Angleterre et en Écosse، وهي كانت عبارة عن الرحلة التي قام بها مع صديقه إلى إنجلترا واسكتلندا، إلا أن هتزل رفض نشرها بشكل قاطع ليُعاد نشرها فيما بعد للمرة الأولى في العام 1989 تحت اسم Voyage à reculons en Angleterre et en Ecosse.

■ متحف «جول فيرن» في نانت

«ألفريد هينارد يقدِّم لي ولأخيه رحلة مجانية من وإلى اسكتلندا. سأسارع إلى اغتنام هذه الرحلة الساحرة... ».

عرضَ ألفريد، شقيق أريستيد هيغنارد، على الصديقين رحلة لا يمكن إلا أن تثير اهتمام «جول فيرن». في الواقع، لـم يتوقف المؤلف أبدًا عن حب اسكتلندا، موطن أحد أسلاف والدته. ولكن أيضًا أحبَّ والتر سكوت، راوي القصص الأكثر شهرة. قال «جول فيرن» لماري بيلوك: «طوال حياتي كنت سعيدًا بأعمال والتر سكوت، وخلال رحلة إلى الجزر البريطانية، رحلة لن أنساها أبدًا، قضيت فيها أسعد أيام حياتي،رأيت مدينةَ إدنبرة الجميلة والخلاَّبة ومرتفعات سونا وهبريدس البرية. بالنسبة لأيَّ شخص مطَّلع على أعمال والتر سكوت، لا يكاد يوجد مكان في اسكتلندا لا يستطيع التعرف عليه من خلال روايات الكاتب الشهير».

في إنجلترا، قام «جول فيرن» بتدوين ملاحظات حول الظروف المعيشية في المناطق الصناعية وبائعات الهوى. واستمتع بجمالِ المناظر الطبيعية الاسكتلندية وحتى أنه حضر عرض ماكبث في Princess's Theatre، الواقع في شارع أكسفورد 4.

في 16 آذار من العام 1867 أبحرَ برفقة أخيه بول على متن (Great Eastern) إلى ليفربول متجهاً للولايات المتحدة، واستخلص من رحلته رواية المدينة العائمة (Une ville flottante) في عام 1870.

إن عشق «جول» للبحر والسفن والمراكب والسفر جعله يقتني ثلاثة زوارق في حياته أطلق عليها جميعها اسم السان ميشال. واعتمدَ المركبَ صومعةً لكتاباته، فحين كان يؤلّف روايته الجديدة كان ينعزل فيها

■ مركب سان ميشال 3

لساعات يومياً لأنها كانت مصدر إلهامه الدائم. قام بالعديد من الرحلات البحرية بين عام 1878 وعام 1885 خاصةً في البحر الأبيض المتوسط.

في العام 1872، تبنَّتْ الأكاديمية الفرنسية مجموعة الرحلات الاستثنائية لكنها لـم تَضُم «جول فيرن» إليها ككاتب وفاعل في الأدب الفرنسي. عانى «جول فيرن» لفترة طويلة من صورته ككاتب لأدب الأطفال. وعلَّق في مذكراته على هذا الحدث قائلا: «**منذ أن عُرف اسمي للمرة الأولى حصل 42 انتخاباً في الأكاديمية الفرنسية وبالرغم من التجديد الذي حصل بها ما زالوا يتجاهلوني. ... أسفي الشديد أنني لـم أُحسب من قِبَلِهم في حياتي على أنني كاتب في الأدب الفرنسي**».

رغم كل هذا الإجحاف بحق «جول فيرن» استمرت نجاحاته الأدبية. ففي العام 1873، نشر «جول فيرن» روايته « الجزيرة الغامضة» التي لاقت النجاح الكبير.

في العام 1876، قرَّر «جول فيرن» أن يهجر العلماء والمستشكفين والصناعيين وآلاتهم العجيبة من أجل بطلٍ أكثر إنسانية، فولدت معه رائعته «ميشال ستروغوف» أو «رسول القيصر» التي أدهَش فيها الجميع بدقةِ وصفهِ الجغرافي للأرض والجبال والسهول والوديان والعادات والأشخاص وحياتهم وكأنه ولد وعاش هناك بينما لـم تطأ رجلُه أرضَ روسيا مطلقاً.

في صيف العام 1878 أبحرَ «جول فيرن» من لشبونة إلى الجزائر على متن مركبه سان ميشال الثالث (Saint-Michel III)، ثم إلى اسكتلندا ثم النرويج، ثم بعد ذلك إيرلندا في عام 1880م. وقام أيضاً بجولة كبيرة في البحر الأبيض المتوسط برفقة زوجته عام 1884. ألهمته هذه السفرة بروايته «ماتياس سندورف».

عمد «جول فيرن» خلال مسيرته الأدبية وإنتاجه الغزير أن يؤكد براعته في امتلاكه للعديد من أنواع الفنون الكتابية. فكتب أدب الرحلات، الخيال العلمي، المغامرات وأدب الشباب. كما كانت له محاولات عديدة في كتابة الرواية الرومانسية والواقعية خاصة في سنواته الأخيرة.

في 15 شباط من العام 1886، قرّر «جول فيرن» أن يفارق مركبه «سان ميشال 3» إلى الأبد حيث أصبحت كلفة صيانته ثقيلة على كاهله.ما كاد يمر شهر، حتى

لعب القدر مرة أخرى ضده حيث تهجَّم عليه غاستون، ابن أخيه بول، وبعد مشادة كلامية دارت بينهما شهَرَ غاستون مسدسه وأطلق منه رصاصتين أصابت واحدة منها قدم «جول». بعد أسبوع على الحادث، يأتيه خبر وفاة صديقه «بيار جول هتزل». مما أحزنه كثيراً وأحبط من عزيمته لخسارة هذا الصديق والسند. وتستمر الأمور نحو الأسوأ حيث يتبلغ وفاة والدته بعد أشهر من الحادث، ويتخلَّف عن دفنها بسبب عجزه عن السفر والحراك. فالرصاصة لـم تخرج من ساقه وهو في حالة صحية غير جيدة. بعد وفاة صديقه وناشر أعماله «بيار جول هتزل» تغير أسلوب «فيرن» حيث أخذ ينشر روايات ذات طابع كئيب وبقي التعاون قائماً بينه وبين «لويس هتزل»، ابن «بيار جول»، حتى وفاته. لكن لـم تلقَ أية رواية نشرها خلال السنوات العشرين الأخيرة من حياته أي نجاح باهر كما عرفت كتب مغامراته الأولى.

إنَّ تعرُّضَ «جول فيرن» لإطلاق النار إضافة إلى كل العوامل المذكورة سابقاً أدخله في حالة من الاكتئاب الحاد مما جعل تماثله للشفاء يطول كثيراً. وتطلب هذا الأمر تدخَّل طبيبه الخاص الذي نهره قائلا: «**سيد «جول» خضعتَ للجراحة على أيدي أشهر الجراحين ولكن لـم تُشْفَ حتى الساعة رغم مرور أسابيع، وأعتقد أنك رافض لهذا الأمر ومكتئب**». أجابه «جول»: «**لا أعتقد أنني سأكتبُ كتاباً آخر بعد اليوم**».

في عام 1888 انتُخِب كعضوٍ في المجلس البلدي في «أميان» وخدم فيه خمسة عشر عاماً.

«جول فيرن» في الصحافة الأميريكية

وصلتْ شهرةُ «جول فيرن» إلى كل القارات وصولاً إلى أميركا وهذا ما جعله محطَّ اهتمام الكتّاب والناقدين والصحافة المحلية والعالمية. وفي العام 1890 كتب «جول فيرن» Souvenirs d'enfance et de jeunesse، وهي سيرةٌ ذاتية، بناءً على طلب Théodore Stanton، الصحفي الأمريكي ومراسل وكالة Associated Press في باريس، وسلَّمه إياها. ظهرت الترجمة الإنجليزية في 9 أبريل 1891 في بوسطن تحت عنوان The Story of my Boyhood 2.

في عام 1900، أُصيب «جول فيرن» بالماء الزرقاء خاصة وأنه كان يعاني من داء السكري. في بداية عام 1903 م ترأسَ جماعة «الإسبيرانتو»[2] في «أميان»، وكان مدافعًا جيّدًا عن هذه اللغة العالمية الجديدة. ووعد أصدقاءَه بكتابةِ روايةٍ تصفُ أهمية لغة «الإسبيرانتو» ولكنه توفي قبل أن يُكملها، فأخذ ابنه ميشال المسودة وأكملها، ولكنه لـم يوفق في الشكل النهائي للرواية (L'Etonnante Aventure de la mission Barsac).

2 - ما هي لغة «الإسبيرانتو»؟

في عام 1870، وبينما الحرب مستعرة في دول البلقان وشرق أوروبا مع الدولة العثمانية وروسيا، وبينها وبين بعضها، بدأت روسيا محاولات القضاء على الثقافات المحلية في هذه المنطقة، والتي كان من بينها بولندا، فحوّلت اللغة الرسمية في الجزء الروسي إلى اللغة الروسية. كذلك فعلت بروسيا في المنطقة التي تخضع لها، بينما احتفظ الجيلكيون في بولندا ببعض الاستقلالية في الجزء التابع للنمسا.في هذه الظروف ظهر العالم البولندي الفيزيائي والخبير اللغوي لوديك زامنهوف عام 1870 والذي أراد تصحيح هذا المسار الذي رأى أن سببهَ الرئيس حرب الهوية القائم بين العديد من الأطراف في منطقة شرق أوروبا، فكان المتحدث بلغة مختلفة عن الآخر يُعتبر عدوّا؛ لذا اعتقد زامنهوف أن الحل يكمن في اختراع لغة تجمع بين القوميات المتطاحنة ويتواصل بها الجميع، إذ آمن أن هذا سيكون السبيل لتحقيق السلام؛ فكانت لغة «الإسبرانتو».

ميشال «جول فيرن»

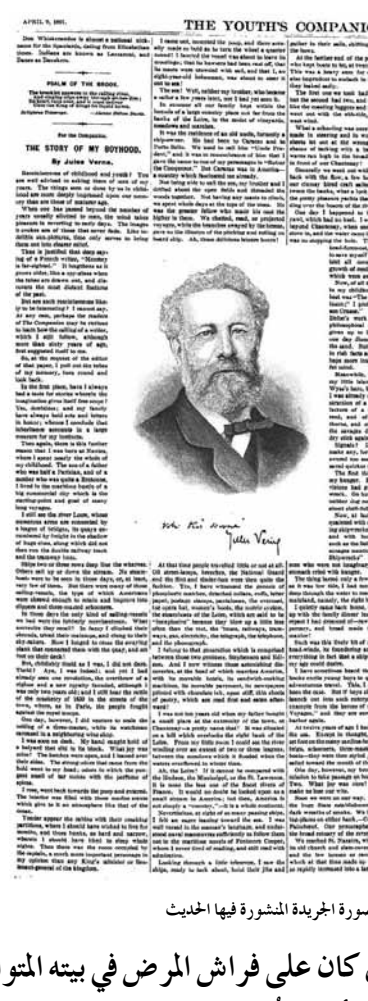

THE YOUTH'S COMPANION.

THE STORY OF MY BOYHOOD.

By Jules Verne.

THE PERPETUAL WALKER.

صورة الجريدة المنشورة فيها الحديث

في 25 آذار من عام 1905، رحل «جول فيرن» عن عمر يناهز الـ77 عاماً بعد أن انتكست صحته ولازم الفراش لمدة من الزمن. وذكرت إحدى المجلات الصادرة في العام 1950 في إحدى المقالات التي كُتبت عن «جول فيرن»: «**عمد بعض الرجال في الحي الذي يسكن فيه الكاتب «جول فيرن»، وحين كان على فراش المرض في بيته المتواضع، إلى فرش الشارع بالقش حتى لا تزعجَ الرجلَ المريضَ أصواتُ حوافر الخيل**».

بعد رحيل «جول فيرن» وجدوا في مكتبه الآلاف من الكتب العلمية التي كان يستعين بها إلى جانب خياله الخصب في كتابة أعماله. بالإضافة إلى ذلك، هناك جانب لا يعرفه كلُّ الجمهور وكلُّ محبي «جول فيرن»، فقد كان يعمد في كلِّ مرة يريد أن يكتب فيها رواية موضوعها علمي، كان يعمد إلى ملازمة أهل العلم ويتابع معهم كل التفاصيل التي كان ينقلها حرفياً وبإخلاص ليوظفها في رواياته. اعتمد «جول فيرن» على ما يشبه القيام بالتحقيقات والأبحاث ليحصل على مصادر معلوماته بشكل دقيق. ولم يرتضِ بتقديم أيٍّ من رواياته، إن ساوره شك بسيط في دقة معلوماتها.

«جول فيرن» وصل إلى الهدف»

المؤرخ Jean Chesneaux

كان الناشر «بيار جول هتزل» يفتخر جداً بأعمال «جول فيرن» ولم يُخفِ هذا الأمر عن صديقه يوماً.لقد عمد بيار هتزل إلى كتابة مقدمة كل رواية من سلسلة الرحلات الاستثنائية اعتزازاً بهذا الكاتب.

في هذا الخصوص يوضّح المؤرخُ الفرنسي JEAN CHESNEAUX رأيَ الناشرِ «بيار جول هتزل» بأعمال «جول فيرن»، هذا الكاتب الشاب المغمور الذي استقبلَه في مكتبه، وتسلَّم منه مخطوطة «خمسة أسابيع في منطاد» في العام 1862 ليكون هذا اللقاء نقطة انطلاق النجاح الباهر للناشر والكاتب معاً. كان قد كتب السيد هتزل مقدمة رواية رحلات ومغامرات الكابتن هتريس في العام 1866 حيث قال : «**إن قصص السيد «جول فيرن» قد وصلت إلى أهدافها. حين نرى الجمهور مهرولاً بسرعة إلى كل المؤتمرات المنعقدة في مختلف أنحاء فرنسا. حين نرى أنه بدل نَشر النقد الأدبي والمسرحي في صحفنا، بدأنا نرى مكانه تحقيقات حول أكاديمية العلوم. علينا أن نقول بأن مقولة الفن من أجل الفن ما عادت تكفي في عصرنا هذا، وأن الساعة قد حانت ليأخذ العلم مكانته في الأدب.... يستحق السيد «جول فيرن» كلَّ التقدير لأنه كان الأول وباحترافية تامة، قد وطئ بقدمه هذه الأرض الجديدة....**»

الكاتب الكئيب

Paschal Grousset

لـم يكن «جول فيرن» رغم كل ما عاشه من شهرة ونجاح ومال سعيداً في سنواته الأخيرة. فعلى الرغم من شهرة رواياته الواسعة وحصوله على وسامين من الحكومة الفرنسية، فقد اعتقد أن المجتمع والأوساط الأدبية لـم تعتبره بمستوى كبار الأدبـاء مثل فيكتور هوغو. لاسيما بعد فشله في أن يصبح عضواً في الأكاديمية الفرنسية التي كانت تضم خيرة أدباء وعلماء فرنسا.

وفي صبيحة اليوم الثاني من وفاة الكاتب «جول فيرن»، أي في 26 آذار من العام 1905، كتب الصحفي والكاتب الفرنسي Paschal Grousset المعروف أيضاً تحت اسم André Laurie مقالاً في جريدة «Le Temps» نوَّهَ بعبقرية «جول فيرن» وبعالميته وبالانجازات التي قدَّمها سواءً على الصعيد الأدبي أو العلمي قائلا: «**جول فيرن الذي كان البارحة بعمر السبعين قدّم أعمالاً تفوق بعبقريتها خيال معظم عشّاقه ومحبيه من القرَّاء....إنه واحد من الكتّاب الأكثر حداثة والأكثر امتلاكاً لمواهب متميزة جداً وأكثر نبلاً ووطنية. وهو من الكتّاب العالميين الذين عرفوا كيف يحاكون الكون باللغة التي كان ينتظرها.....**» ويضيف في مكان آخر من المقال: «**منذ نصف قرن يتربّع**

«جول فيرن» على عرش الروائيين الأكثر شعبية والذين تُرجمت أعمالهم من الفرنسية إلى كل اللغات. ..فقد تُرجمت أعمال «جول فيرن» من اللغة الفرنسية إلى اللغات الألمانية والروسية والإسبانية وصولاً إلى الصينية واليابانية...»

وتابع في مقاله ليهاجم الأكاديمية الفرنسية التي تمنَّعت عن ضمَّ «جول فيرن» وإعطائه العضوية فيها حيث قال :«.....**الجميع عرف قيمة هذا الكاتب إلا الأكاديمية الفرنسية لم تشعر بذلك....ولم تقدّم لـ«جول فيرن» إحدى مقاعدها واكتفت بالتنويه حول كتبه واعتبارها صالحة وجيّدة للتعليم. ..»**

Léon Blum

التأثير الإيجابي لأدب «فيرن»

كذلك الأمـر، كتب Léon Blum، وهو أحد السياسيين الاشتراكيين البارزين في فرنسا وتولى رئاسة الوزارة في الجمهورية الفرنسية الثالثة مرتين، كما أصبح بعد الحرب العالمية الثانية آخر رئيس للحكومة الفرنسية المؤقتة من 16 ديسمبر 1946 إلى 16 يناير 1947، كتب مقالاً في جريدة L'Humanité في تاريخ 3 نيسان من العام 1905 قال فيه: «**سأتحدث اليوم عن «جول فيرن» ليس فقط من باب العرفان بالجميل لأنني قرأت «جول فيرن» حين كنت طفلاً، إنما أيضاً لأدافع عنه من حالة الإجحاف الكبيرة التي لحقت به. نحن نميل بشدة إلى إنكار كل قيمة أدبية للأعمال التي تقدم نفسها لنا تحت أسلوب مبسط وشعبي أو للأعمال المكتوبة للأطفال، هذا ظلم، وفي غالب الأحيان يكون خطأ....»**

ويتابع في مكان آخر من مقاله قائلا: «**في الواقع، يجب أن ننظر إلى أعمال «جول فيرن» بالإجمال وننظر إلى نتائجها لأنها مارست خلال أربعين عاماً على أطفال هذا البلد وأطفال اوروبا بأكملها، تأثيراً لـم تحدثه أية أعمال أخرى. ...كانت هذه الأعمال أداةً للتعليم الإيجابي وللتطور الأخلاقي. نَشَرَتْ هذه الأعمال، إلى جانب حب المغامرة، حبَّ البحث العلمي والثقة بتفوق قوة العقل....**».

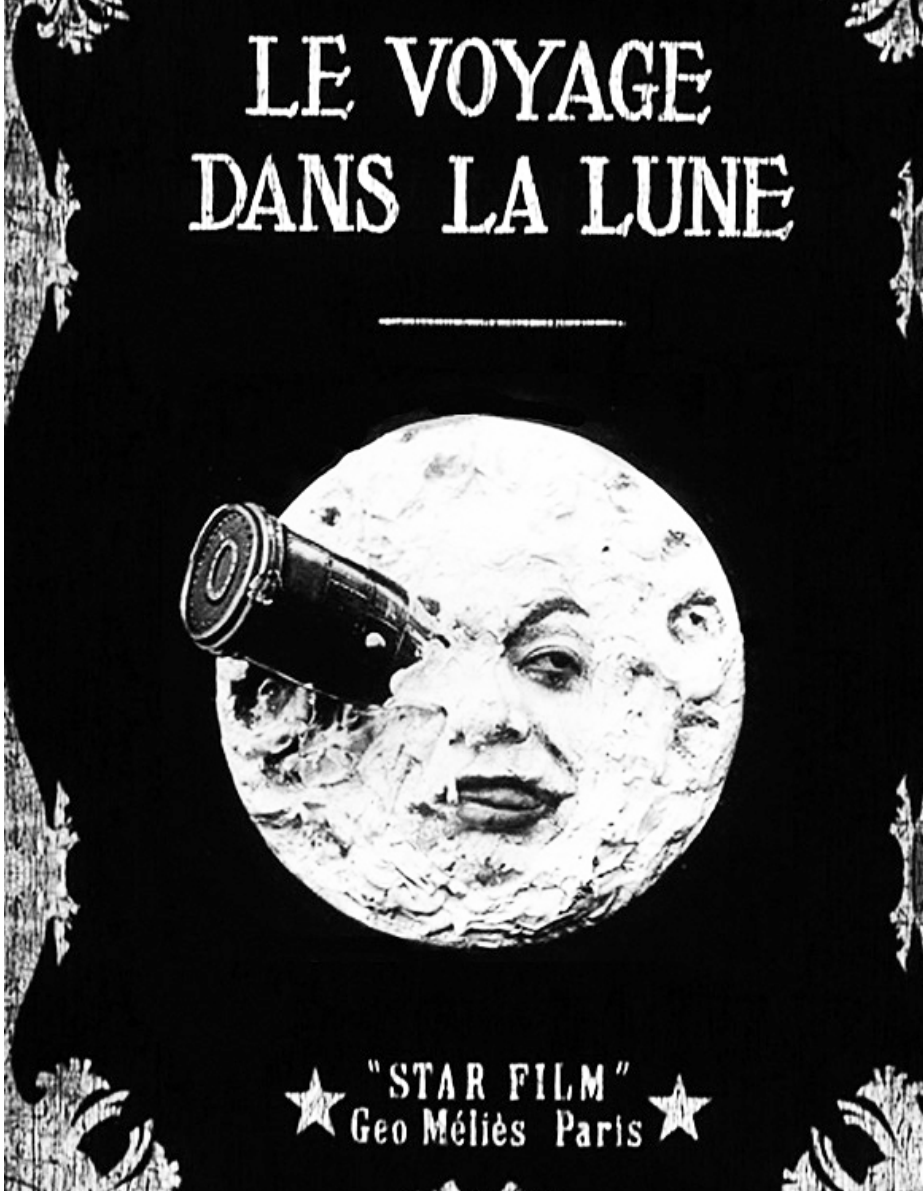

جورج ميلياس

وفيلمه عن رواية «رحلة الى القمر»

جورج ميلياس

زارت روايـات «جول فيرن» مناطق لـم تكن لتخطر في البال، وتحدَّثت عن اختراعات ما كان أحد ليحلـم بها، وخاض أبطاله شتّى أنواع المغامرات. لكنها وإن ألمحت إلى ولادة ما يشبه الفن السينمائي منذ وقت مبكر، فإنها عجزتْ عن تكهّن كان من شأنه أن يبدو بديهياً: التكهّن بأن تكون واحدةً من رواياته موضوعاً للفيلـم الروائي الأول في التاريخ. الرواية هي «من الأرض إلى القمر» التي صدرت عام 1865 أي عند بدايات النشاط الكتابي المدهش الذي خاضه «فيرن». وهي الرواية التي استند إليها مواطنه جورج ميلياس في صياغة ذلك الفيلـم الذي يُبجَّل إلى اليوم. ليس فقط بوصفه فيلماً يعبق بالخيال والابتكارات وضروب السحر، بل بوصفه فيلماً روائياً أدخل به ميلياس ذلك الاختراع الذي كان ظهر قبل سنوات قليلة، إلى عالـم الفن الخالص، بعدما كان «مخترعاه» الأخوان لوميير أَوْجداهُ كوسيلة لالتقاط مشاهد واقعية من الحياة وعرضها أمام متفرجين مبهورين.

صوّر جورج ميلياس هذا الفيلـم عام 1902 أي قبل رحيل «فيرن» بثلاث سنوات، ليكون الأول في مجالاتٍ عدة: أول فيلـم روائي كما قلنا؛ أول فيلـم خيال علمي؛ أول فيلـم يستعين بممثلين يلعبون أدواراً حُدِّدت لهم...

لكن الأمور لـم تكن على هذا النحو في الأعوام الأولى من عمر السينما، حين عرض ميلياس في باريس، الفيلـم الذي يُعتبَر اليوم الوالد الشرعي لأفلام الخيال العلمي، «رحلة إلى القمر». فهذا الفيلـم بمشاهده، التي من المؤكد أنها ستبدو لمتفرجي أيامنا هذه شديدة البدائية، وربما مضحكة، كان أشبه بمعجزة حلّت على المتفرجين في اليوم الثالث من شهر مايو (أيار) 1902، حين قُدِّم الفيلـم في عرضه الجماهيري الأول. صُعق هؤلاء وراحوا ينظرون إلى بعضهم البعض في ذهول كمَن لا يصدق.

أعمال «جول فيرن»

رحلات استثنائية

خمسة أسابيع في منطاد (1863). رحلة إلى مركز الأرض (1864). من الأرض إلى القمر (1865). مغامرات الكابتن هاتراس (1867). أطفال الكابتن جرانت (1868). عشرون ألف فرسخ تحت الماء (1870). حول القمر (1870). المدينة العائمة (1871). مغامرات ثلاثة رجال إنجليز وثلاثة روس في جنوب أفريقيا (1872). حول العالم في ثمانين يوماً (1873). بلاد الفراء (1873). الجزيرة الغامضة (1875)-(1874). المستشار (1875). ميشيل ستروغوف (1876). رحلة على مذنب (1877). جزر الهند السوداء (1877). قبطان في الخامسة عشرة (1878). ثروة البيجوم (1879). مِحَنُ صينيٍّ في الصين (1879). بيت البخار (1880). عشرون ألف فرسخ تحت الماء (1881). غودفري مورغان (1882). الشعاع الأخضر (1882). كيرابان العنيد (1883). نجمة الجنوب (1884). الأرخبيل على النار (1884). ماثياس ساندورف (1885). روبور الفاتح (1886). تذكرة اليانصيب (1886). الشمال ضد الجنوب (1887). الطريق إلى فرنسا (1887). إجازة سنتين (1888). عائلة بدون اسم (1889). رأساً على عقب (1889). قيصر كاسكابل (1890). السيدة برانيكا (1891). قلعة كاربات (1892). كلوديوس بومبارنا (1892). اللقيط مايك (1893). مغامرة غريبة للسيد انتيفير (1894). الجزيرة العائمة (1895). مواجهة العلم (1896). كلوفيس داردينتور (1896). أبو الهول الجليدي (1897)أورينوكو الخارق (1898)وصية غريب الأطوار (1899). الوطن الثاني (1900). القرية اللطيفة (1901). قصص جان ماري كابيدولين (1901). الأخوة كيب (1902). منحة السفر (1903). دراما في ليفونيا (1904). سيد العالم (1904). اجتياح البحر (1905).

روايات

حطام سينثيا (1885). منارة في نهاية العالم (1905). البركان الذهبي (1906). مطاردة النيزك (1908). قائد الدانوب (1908). الناجون من «جوناثان» (1909). سر فيلهلم ستورتز (1910). بعثة بارسكا (1919). رحلة إلى إنجلترا واسكتلندا (1989). باريس في القرن العشرين (1994). دكتور أوكس (1874). الأمس والغد (1910).

قصص قصيرة

دراما في المكسيك (1851). دراما في الهواء (1851). سيد زاخريوس (1854). شتاء في الجليد (1855). الكونت شانتلين (1864). حصار العدائين (1865). تجارب دكتور أوكس (1872). مارتن باز (1852). المدينة المثالية (1875). متمردو السفينة باونتى (1879). عشر ساعات صيد (1881). فريت فلاك (1884). جيل برلتار (1887). يوم صحفي أمريكي في العام 2889 (1889). مغامرات عائلة الجرذ (1891). السيد ريديز والآنسة ميل ميبيمو (1893). آدم الخالد (1910).

«وكالة طومسون للسفر» بواسطة «ميشال فيرن» (1907).

«جول فيرن» باللغة العربية

أما روايات الكاتب «جول فيرن» المترجمة إلى اللغة العربية فلا تتعدّى 15 رواية من كامل إنتاجه الفكري الذي يتعدّى المئة عمل بين الرحلات الاستثنائية والروايات والقصص القصيرة وغيرها. فقد تُرجمتْ أعماله التالية: عشرون ألف فرسخ تحت الماء، يوم صحفي أمريكي في العام 2889، الخمسمائة مليون ثروة البيجوم، حول العالـم في 80 يوماً، رحلة على متن منطاد، تجربة الدكتور أوكس، شتاء وسط الجليد، السيد زخاريوس، سر الجزيرة، من الأرض إلى القمر، رسول القيصر أو ميشال ستروغوف، سيد العالم، الجزيرة الغامضة، رحلة إلى مركز الأرض، رواية الرحلة العلمية في قلب الكرة الأرضية.

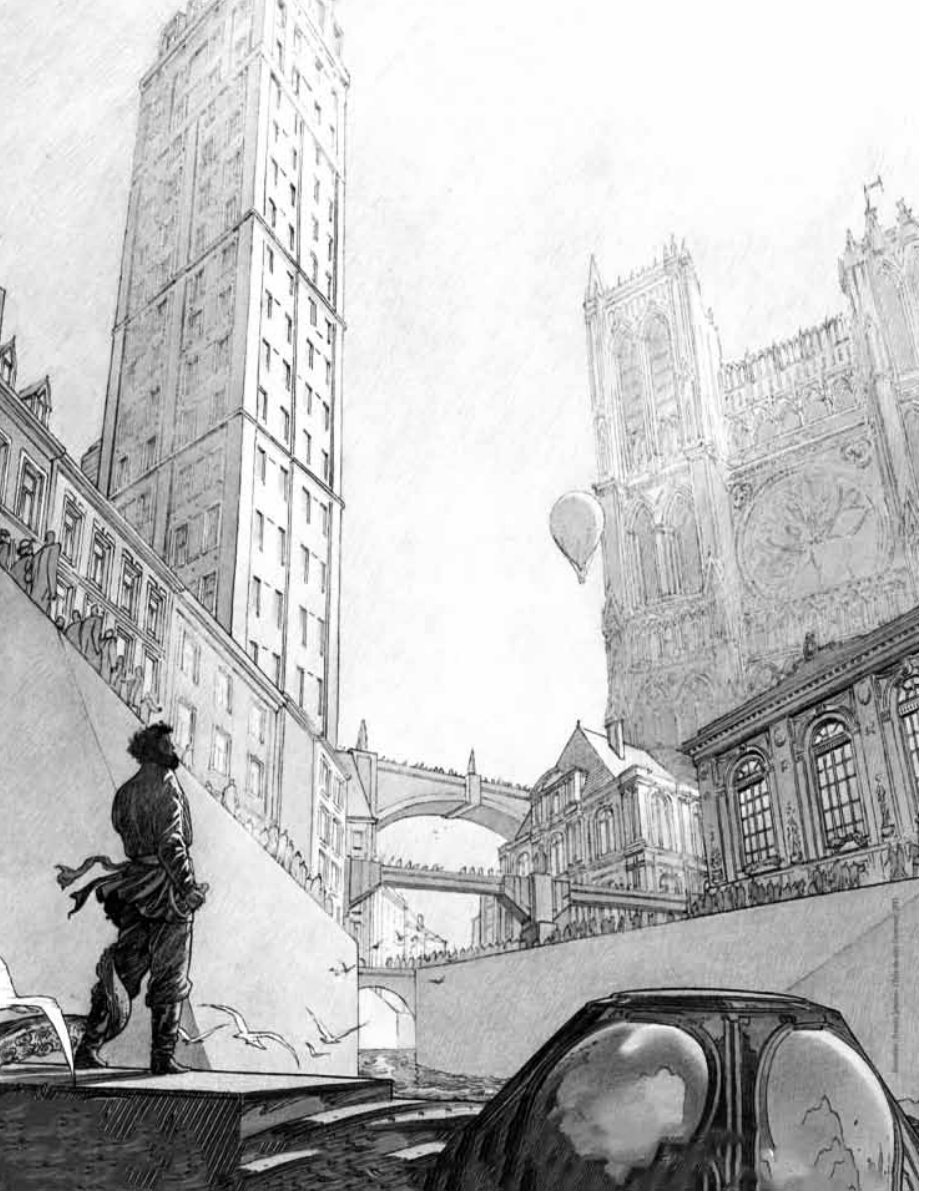

بين الخيال والواقع

ويبقى السؤال الأكبر في كل ما أنجزه «جول فيرن»: من أين استقى أفكار اكتشافاته ومعلومات رحلاته العلمية والخيالية ؟ وما هي الاختراعات التي تنبّأ بها «جول» في أيامه وخطّها على ورق من خياله لتعود وتتحول إلى حقيقة وواقع في القرن العشرين ؟

في هذا الفصل الثاني من الكتاب سنتناول العوامل التي ساعدت «جول فيرن» في إطلاق العنان والخيال إلى بنات أفكاره، والتي ساعدته على ترك نتاجٍ أدبيٍ مبدعٍ وممتعٍ ومفيد إلى أبعد مما يمكن أن يتصور العقل البشري.

في البداية، علينا الاعتراف أن «جول فيرن» كان كاتباً مبدعاً وسبّاقاً لعصره، وما يزال حتى يومنا هذا يتربّع على عرش الإبداع، حيث لـم يأتِ من بعده أي منافس يجعله يترجل عنه.

لمسنا منذ نهاية الستينيات من القرن المنصرم، اهتمام الناس بمواضيع أدبية بعيدة عن الكلاسيكية خاصة مع اقتحام التلفزيون الساحة بقوة، وجاءت من بعده السينما لتصبح في المرتبة الأولى من اهتمام الناس، خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وعودة السلام والأمان، حيث نشطت شركات إنتاج الأفلام السينمائية وكان الاستثمار فيها مربحاً جداً. وكانت السينما الأميريكية بالتحديد تبحث عن مواضيع جاذبة تحقق بها نسبة مشاهدة كبيرة ومردوداً مالياً أكبر. لهذا نشطت في تلك المرحلة ما بين أواخر الخمسينيات حتى أواخر السبيعينيات حركة الأفلام

التي اعتمدت على قصص أدب الخيال العلمي فشاهدنا أفلاماً رائعةً مأخوذة من قصص «جول فيرن» وغيرها من أدب الخيال العلمي والمغامرات، حققت نجاحات واسعة جداً مع أشهر نجوم هوليوود. كما أُطلقت سلسلة من الأفلام والمسلسلات التي تتناول غزو الفضاء واستكشاف المجرات والسكن في المريخ وغيره، تماشياً مع وصول أول مركبة مأهولة بروّاد الفضاء إلى سطح القمر في 20 تموز من العام 1969 وهي مركبة «أبولو 11» الأميريكية، واحتدام الصراع على غزو الفضاء ما بين الاتحاد السوفياتي سابقاً والولايات المتحدة الأمريكية.

محطاتٌ مهمة خلال القرن التاسع عشر

لكن قبل أن ندخل في تفاصيل قسمنا الأول من الفصل الثاني سنلقي الضوء على أهم ما وصل إليه القرن التاسع عشر من ابتكارات واختراعات واكتشافات بشكل مختصر وسريع.

شهد القرن التاسع عشر ولادة العلم كمهنة. صاغ «وليام ويلي» مصطلح عالم في عام 1833، والذي سرعان ما حلَّ محل المصطلح القديم «فلسفة الطبيعة». من بيَن الأفكار الأكثر تأثيراً في القرن التاسع عشر كانت أفكار تشارلز داروين (جنبًا إلى جنب مع الأبحاث المستقلّة لألفريد راسل والاس) الذي نشر في عام 1859 كتاب أصل الأنواع، والذي قدم فكرة التطور عن طريق الانتقاء الطبيعي.

مَعلَمٌ مهمٌ آخر في الطب والبيولوجيا كان الجهود الناجحة لإثبات نظرية جرثومة المرض. بعد ذلك، صنع لويس باستور أول لقاح ضد داء الكَلَب، كما حقَّق العديد من الاكتشافات في مجال الكيمياء، بما في ذلك عدم تناسق البلورات.

في الكيمياء، أنشأ ديمتري مندليف، باتباع النظرية الذرية لجون دالتون، أولَ جدولٍ دوري للعناصر. في الفيزياء، أدَّتْ التجارب والنظريات والاكتشافات لمايكل فاراداي وأندريه ماري أمبير وجيمس كلارك ماكسويل ومعاصريهم إلى إنشاء الكهرومغناطيسية كفرع جديد من العلوم. أدتْ الديناميكا الحرارية إلى فهم الحرارة وتم تعريف مفهوم الطاقة. في علم الفلك، تم اكتشاف كوكب نيبتون.

في الرياضيات، نضجت فكرة الأعداد المركبة أخيرًا وأدت إلى نظرية تحليلية لاحقة؛ بدأوا أيضًا باستخدام الأعداد العقدية الفائقة. أجرى كارل فايرشتراس وآخرون عملية حسابية للتحليل لوظائف المتغيرات الحقيقية والمعقدة. شهد أيضًا ارتفاعًا لتقدّمٍ جديدٍ في الهندسة يتجاوز تلك النظريات الكلاسيكية لإقليدس، بعد فترة تقارب ألفي عام. وبالمثل، حقَّقَ علـم المنطق الرياضي اختراقات ثورية بعد فترة طويلة مماثلة من الركود.

لكن أهم خطوة علمية في ذلك الوقت كانت الأفكار التي صاغها مبدعو العلوم الكهربائية. غيّر عملهم وجه الفيزياء ومكّن من ظهور تقنية جديدة بما في ذلك الانتشار السريع في استخدام الإضاءة الكهربائية والطاقة في العقدين الأخيرين من القرن واتصالات الموجات الراديوية في نهاية تسعينيات القرن التاسع عشر.

واخترعَ بينز باتينت موتورفاغن أول مركبة وقود في التاريخ اخترعها «كارل بنز» عام 1886.أما توماس إديسون –مخترعٌ وعالمٌ ورجلُ أعمالٍ أمريكي – فقد طوَّر العديد من الأجهزة التي كان لها أثرٌ كبيرٌ على البشرية حول العالم، ومنها الفونوغراف وكاميرا الصور المتحركة، والمصباح الكهربائي.

شهدت بلدان أوروبـا الغربية خلال القرن الثامن عشر نهضةً علميةً شاملةً فتنوعت الأبحاث والتجارب لتشمل مختلف فروع العلـم ولتؤدي إلى اختراعاتٍ واكتشافاتٍ مهمة كانت السبب المباشر في قيام الثورة الصناعية خلال القرن التاسع عشر. وهي ثورة كان لها الأثر البالغ على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية سواءً في أوروبا أو خارجها.

تم افتتاح أول سكّةِ حديدٍ عام 1825 بتخطيطٍ من الإنجليزي جورج ستيفنسون صاحب مناجم كلينجورث حيث تمكنَّ ستيفنسون من إنشاء سكة حديد في مناجم كلينجورث لنقل الفحم الحجري الخام. فدُعي ستيفنسون لبناء خط سكة حديد من ستوكتون إلى دارلنجتون ومنها إلى شيلدون وهي مسافة يبلغ طول خطها الحديدي 40 كيلومتراً. واستخدم ستيفنسون أثناء هذا المشروع بعض المحركات البخارية الثابتة التي يمكن أن تُستخدم في جرِّ العربات المحملة بالفحم على الخطوط الصاعدة

الصعبة باستخدام الجنازير والبكرات. وقرر ستيفنسون أن ينتج هذه المحركات بنفسه فأصبح شريكاً في مصانع هندسية للقاطرات في بنيوكاسل وقد استُخدِمَ خط ستوكتون – دارلنجتون في أول الأمر لنقل البضائع فقط، ولكن سرعان ما تبين أنه مفيد لنقل الركاب فجهزت عربات مناسبة ولكنها ظلت تُجر بواسطة الخيل أحيانا في حين استخدمت القاطرات على عربات البضائع.

يُعتقد أنّ أول غواصة صُممت كانت في العام 1620 على يد الهولندى فون دريبل حيث صمم غواصة صغيرة لها 12 مجدافاً غاصت في نهر التايمز على عمق 4.5 – 3.5 متر وسارت 15 ساعة.

في عام 1776 قام الأمريكي دافيد بوشنيل ببناء غواصة صغيرة مصنوعة من البلوط بيضاوية الشكل لها ذراع تقوم بتشغيل محرك لولبي وأسماها السلحفاة استُخدمت في أثناء الحرب الأهلية الأمريكية.

إن الغواصة العثمانية عبد الحميد هي أول غواصة في العالـم تطلق طوربيد مباشرة من تحت سطح الماء، وكان اسمها أولًا «تحت البحر» وأدخلت ضمن أسطولها الحربي، وكانت هذه أول مرة يستخدم فيها العثمانيون الغواصة.تم تصنيعها عام 1711 في عهد السلطان أحمد الثالث، وقد أشرف على صناعتها كبير مهندسي مصنع السفن العثماني «إبراهيم أفندي».

أما الغواصة الحديثة فقد ظهرت عندما أصبح بالإمكان تجهيز القوارب بمحرك كهربائي صمَّمه الأمريكي جون فيليب هولند، وبإضافة الجهاز الذي صمَّمه السويدي ثورستين نوردنفلت إلى جهاز هولند وهو يعمل على قذف الطوربيد داخل السفينة أصبحت الغواصة سلاحاً مؤثراً. وقد سُمِّيتْ هذه الغواصة هولند وقد أنزلتْ في ميناء إليزبيث بولاية نيوجيرسي عام 1897، وسارت فوق الماء بآلة تعمل بالجازولين وعندما تغوص تعمل بمحركات كهربائية تغذيها بطاريات في مجاميع، وقد تم استبدالها لاحقًا بآلة الديزل بسبب قابلية الجازولين للاشتعال.

في مكتب متواضع، لدى مهندس طموح ومبتكر اسكتلندي، اسمه غراهام بيل، وفي العام 1876 ولد الهاتف، الذي سيغيّر مفهوم الاتصال عبر العالـم.

ما هو الهدف من سرد تلك المعلومات ؟

إعطاء صورةٍ مصغرة عمّا زخر به القرن التاسع عشر من اختراعات واكتشافات علمية وغيرها. وما جاء ذكره آنفاً هو غيض من فيض، الغرض منه كما قلنا إعطاء صورة سريعة للقرن التاسع عشر الذي ولد وعاش فيه كاتبنا «جول فيرن». أردنا بذلك أن نؤكد على تفرد كاتبنا بكل ما كتبه وتنبأ به من خلال قصصه ورحلاته ومغامراته والذي سنتحدث عنه بصورة أوسع في القسم الثاني من الفصل الثاني. وفي الوقت نفسه، علينا أن نجزم أن الثورة الصناعية والعلمية انطلقت خلال هذا القرن مما ساعد كاتبنا على التعرف عن قرب إلى الكثير من الأمور العملية التي تحدَّثَ عنها في رواياته، ومهَّدتْ له كي يُطلق مجموعةً من التصورات التي تقع في خانة «التخيلات» أو «التنبؤات» والتي شرح عنها على الورق وتحوّل قسمٌ منها إلى حقيقةٍ وواقع.

العوامل المساعدة

لا يمكن فصل «تخيلات» أو«تنبوءات» «جول فيرن» المستقبلية عن التغييرات التي حصلت خلال القرن التاسع عشر. إن النظرة الشاملة إلى نتاج «جول فيرن» الأدبي لا يمكن أن تعطي صورة واضحة وعميقة ومنصفة عن قيمة هذا المفكر.

عمد «جول فيرن» منذ اللحظة الأولى في مسيرته الأدبية إلى إعلاء شأن العلم وكان ينكبُّ في كل مرة يعمل فيها على كتاب جديد، ينكبُّ ليلاً ونهاراً على استقصاء المعلومات العلمية الدقيقة، لدرجة أنك حين تقرأ مغامراته الجديدة تعتقد أنك في حضرة عالم متخصص بمادة الجغرافيا وطبيعة الأماكن وبالعلوم الطبيعية والعلوم الجيولوجية والكيميائية والفضائية والهندسية والتكنولوجيا وغيرها الكثير...

لا يمكن لأيِّ كاتب أن يقدّم هذا الكمَّ الهائل من الإنتاج الفكري والأدبي والروائي طوال حياته دون أن يكون عبقرياً ومبدعاً وصاحب رؤية مستقبلية.

عمد «جول فيرن» في كل رواية من مجموعة «الرحلات الاستثنائية» بالتحديد إلى طلب العون والمشورة من العلماء الذين كانوا منكبّين آنذاك على دراسة إنجازاتهم العلمية وكان باحثاً لا يكل، وقارئاً نهماً لا يمل، ومكتشفاً في طبعه وفضولياً وعاشقاً لعمله الذي أراده أن يكون كاملاً. لهذا استعان في العديد من أعماله الأدبية لتطبيق أدق المعلومات العلمية وتزويد القارئ بكل تفاصيل جديدة كان العلماء يعملون عليها في تلك الآونة من الزمن.

في روايته «باريس في القرن العشرين»، التي كتبها في العام 1863، طرح «جول فيرن» مجموعة تنبؤات تكلمَّ عنها خلال سياق الرواية وتصوَّر باريس في العام 1960 تعيش ثورةً تكنولوجيةً عارمةً، وثورة هندسية عمرانية من ناطحات للسحاب، إلى شوارع واسعة ومعبدة تسير عليها سيارات متطورة جداً تعمل على الطاقة الكهربائية، إلى التاكسيات ووسائل النقل المتطورة مثل مترو الأنفاق والقطار السريع. وتحدَّث في تلك الرواية عن الفاكس وغيرها الكثير من التخيلات التي اعتقد «جول» أنه يخطّها فقط ليبهر قاعدة جمهوره العريض من الشباب المراهق.

استطاع «جول فيرن»، في مسار التقدّم الذي انطلق في عصره، استطاع أن يصوّب نحو المستقبل بباقة من التخيلات والتنبؤات والاختراعات التي رسمها في خياله وطبَّقها على الورق.

تحتاج أعمال «جول فيرن» إلى قراءة جديدة بنظرةٍ مختلفة، لأننا على يقين أننا سنكتشف صفات جديدةً في «جول فيرن» غير التي تعرّفنا عليها في قراءتنا السابقة خاصة عندما كنّا في مرحلة المراهقة والشباب. ألبَسَ كاتبنا صفة التخصص في أدب الأطفال، لكن في الواقع كانت كل رواياته تتوجه إلى المراهقين والشباب، وكان الهدف من معظمها دفع هؤلاء إلى إعلاء دور العلـم في حياتهم، وأخذ كل الاستكشافات والأبحاث العلمية على محمل من الجد، وحثهم على الدخول في عالـم المغامرة لإضفاء قِيَم إضافية إلى حيواتهم.

نادى «جول فيرن» بقيم إنسانية عظيمة ودعا إلى التحرّر وكان كاتباً ذا نزعة وطنية غير قابلة للشك. لـم يترك «جول» مجالاً إلا وبثَّ من خلاله كل ما يريد أن يقوله.. لهذا استطاع أن يجذب حوله، وما يزال حتى يومنا هذا، الملايين من القرَّاء الشباب الذين تأثروا بشكل مباشر أو غير مباشر بكل ما ورد في أعماله، لدرجة أن هناك علماء ومخترعين عملوا على تنفيذ الأفكار التي طرحها في رواياته الخيالية وكان لهم الشجاعة أن يقرّوا بتأثير «جول فيرن» عليهم.

لا أعتقد بأن «جول فيرن» كان يتمنى أن يشهد على الحرب العالمية الأولى والثانية، وأن يرى بأم العين ما خلّفته من دمارٍ في البشر والحجر. لا أعتقد أن كاتبنا الذي عشق العلـم والعلوم كان سيوافق على فكرة القنبلة الذرية لكنه كان سيشجع الطاقة الذرية لاستخدامها في أهداف سلمية. لـم يكن مستعداً أن يرى بلاده محتلةً

من قبل الألمان لأنه وطني وكان من الطبيعي أنه يتواجد في الصفوف الأمامية للدفاع عن أرضه وكرامتها. كماً كان سيسعد لو علـم أنَّ روايته «رحلة من الأرض إلى القمر» تحوَّلت إلى واقع في العام 1969، وأنَّ الإنسان قد وطئ بقدمه سطح القمر، وأن التفاصيل الصغيرة في روايته طُبِّقت في الواقع بحذافيرها.

وفي النهاية، سنتابع في القسم الثاني والأخير، التنبوءات التي أشار إليها «جول فيرن» في رواياته والتي تحوَّلت إلى واقع وحقيقة حتى لو بعد قرن من الزمن.

تنبؤات «جول فيرن»

الغوّاصة الكهربائية

نوتيلوس، الغوّاصة الخيالية من رواية «عشرين ألف فرسخ تحت البحر»، التي نُشرتْ عام 1869، هي بالتأكيد واحدة من أشهر إبداعات «جول فيرن». في خيال الرواية، إنها غواصة متقدمة للغاية ومضغوطة وقوية تُستخدَم الكهرباءُ لتشغيلها. في عام 1880 بدأ المهندسون في بناء غواصات وظيفية استخدمَتْ بعد ذلك نفس التكنولوجيا التي تصوَّرها الكاتب للغوص والانبعاث من المحيطات. أخيرًا في عام 1887 أطلقتْ البحرية الإسبانية أول غواصة كهربائية.

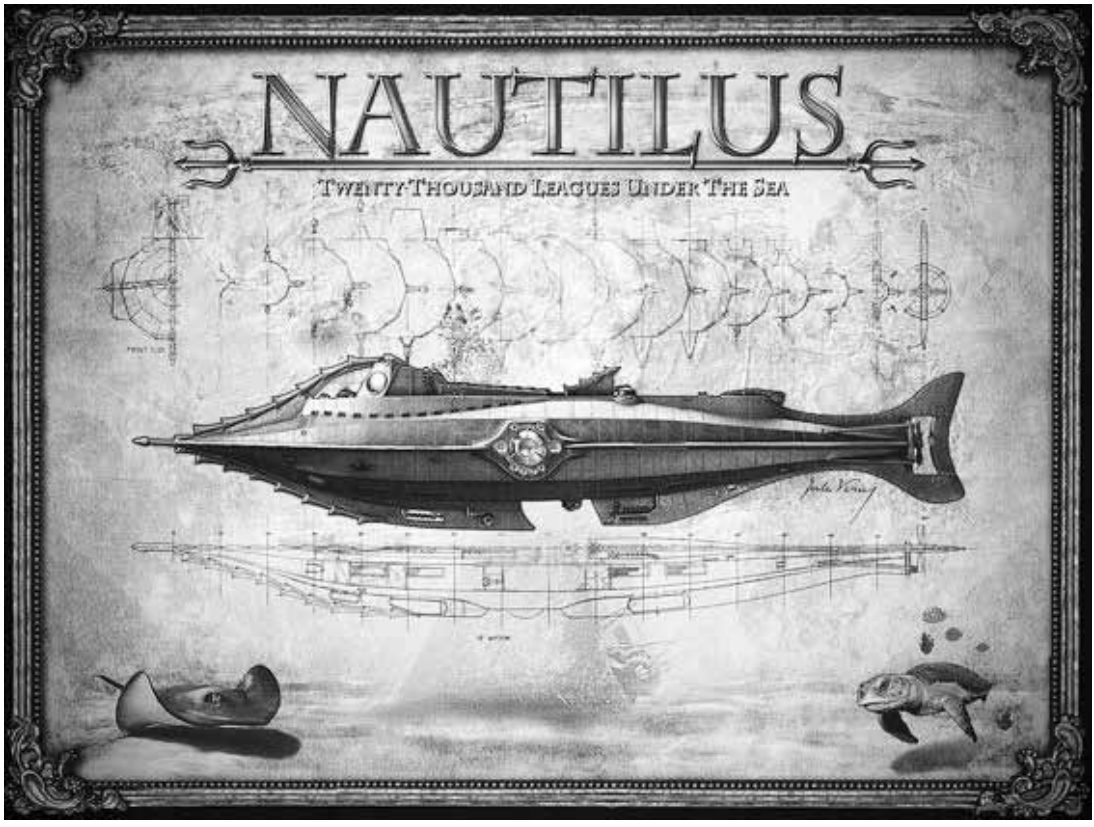

الغواصة نوتيلوس

المروحية الكهربائية

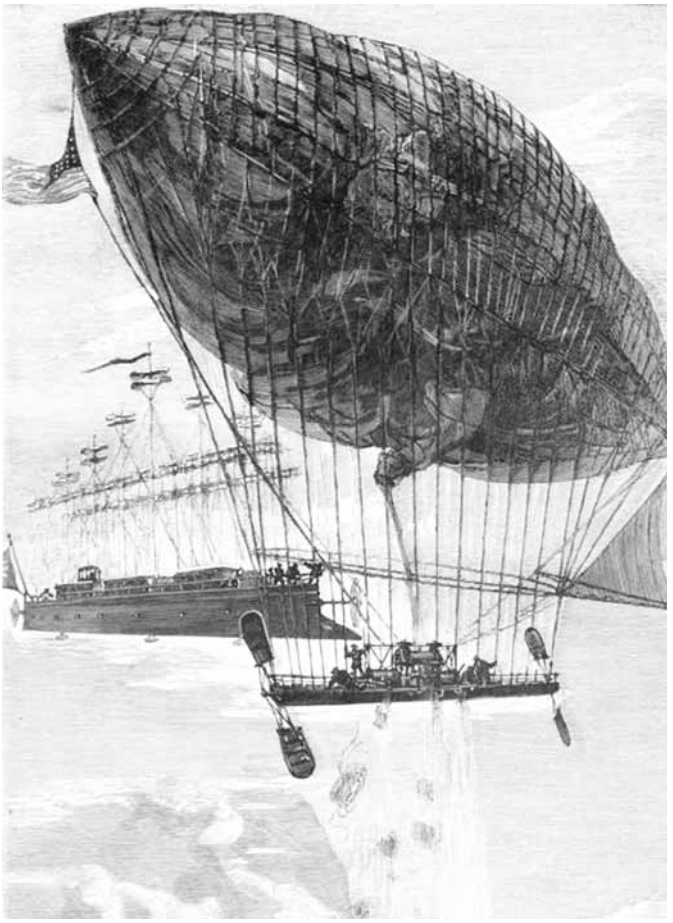

المروحية Albatros

في روايته «Robur the Conqueror» التي نُشرت عام 1886، يروي Jules Verne قصة Robur، المخترع اللامع الذي أغضب أعضاء معهد Weldon-Institute، وهو نادٍ يجمع كلَّ أولئك الذين يمكن أن يكونوا مهتمين بعلم الطيران، أغضبهم حين قال إن المستقبل لا ينتمي إلى البالونات، ولكن لآلات الطيران. ثم قام ببناء «الباتروس» ALBATROS، وهي آلة طيران تعمل بالكهرباء، وأخذ اثنين من أعضاء النادي في رحلة حول العالم على متن اختراعه. هذه الآلة بالتحديد هي «سلف» المروحية العملاقة، لأنها تتكون من منصة تقلع بفضل المراوح المثبتة موازية للأرض.

التواصل عبر الفيديو Video Call

كان Jules Verne مليئًا بالأفكار لمستقبل الاتصالات. من أكثر ما يلفت الانتباه هو «الهاتف» الذي ظهر في قصته القصيرة بعنوان «يوم الصحفي الأمريكي عام 2889» والتي نُشرت عام 1889. في ذلك الوقت، كان هاتف ألكسندر جراهام بيل عمره أقل من 15 عامًا. أما الكاتب، بمساعدة ابنه، رأى بالفعل المزيد: لقد تخيَّل نوعًا من «وحدة التحكم» التي جعلت من الممكن، ليس فقط تلقي «المكالمات» وإرسالها، ولكن أيضًا إجراء مكالمات صورٍ متحركةٍ وصوت بفضل نظامٍ من «المرايا الحساسة المتصلة بكابلات».

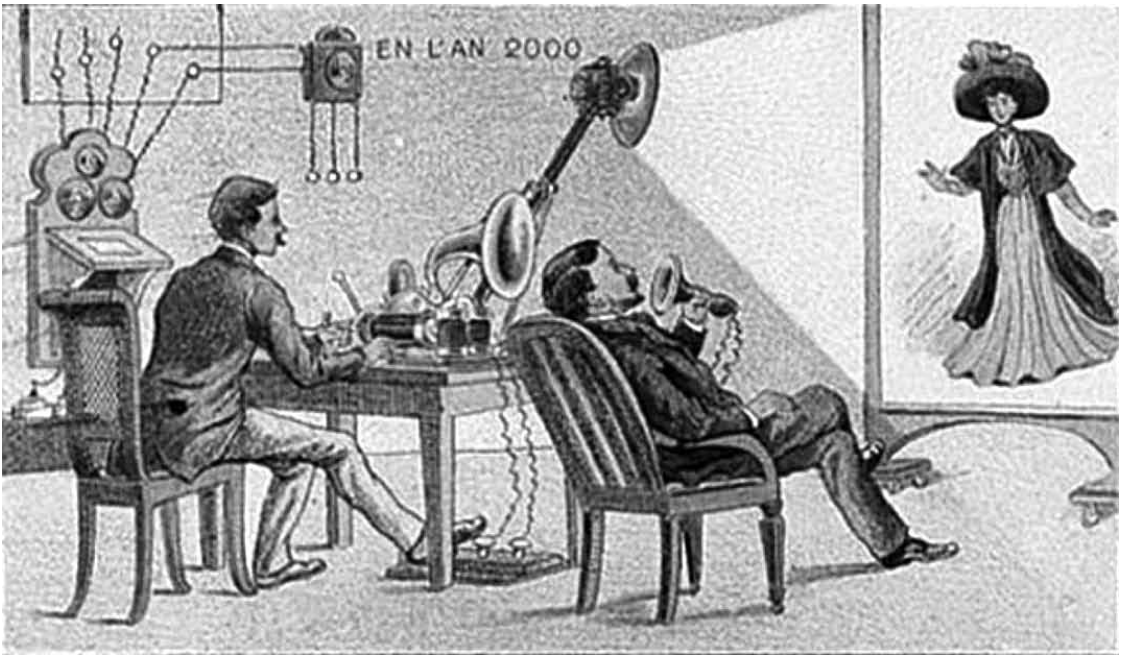

Video Call

كبسولة الفضاء

في كتابه «From the Earth to the Moon» الذي نُشر عام 1865، يروي Jules Verne قصة رجال نادي Gun Club في بالتيمور الذين لديهم فكرة - بعد انتهاء الحرب الأهلية وشعورهم بالملل بسبب قلة النشاط – في الذهاب إلى القمر. في حين أن طريقة الإطلاق أصلية إلى حد ما (تتكون من مدفع طويل تم وضعه على تل في فلوريدا)، فإن العديد من الجوانب الأخرى التي تخيلها الكاتب قريبة بشكل خاص من الواقع. كما هو الحال مع أول هبوط على سطح القمر في عام 1969. كانت المركبة الفضائية التي تخيّلها «جول فيرن» مصنوعة من الألومنيوم، وتحمل ثلاثة روّاد فضاء، وحتى الكتاب يحتوي على تفاصيل دقيقة بشكل خاص عن تأثير انعدام الجاذبية على جسم الإنسان.

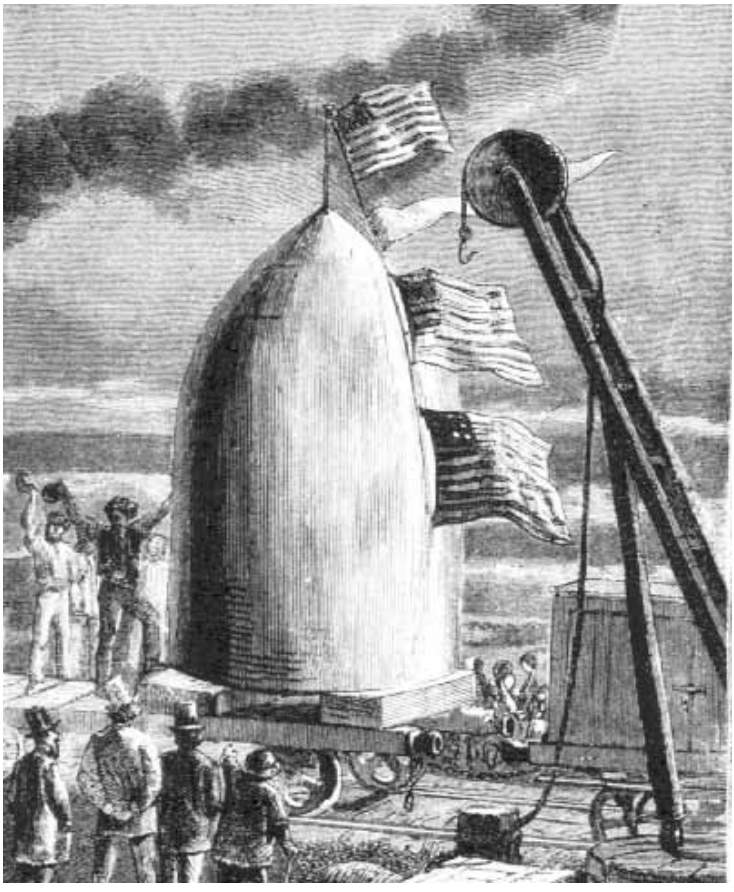

حرب الطائرات بدون طيار

كتب «جول فيرن» رواية «باريس في القرن العشرين» عام 1860، لكنها لـم تُنشر حتى عام 1994، بعد وفاته. وبالفعل، عندما أنهى عمله، رفضها ناشره، معتبراً أنها ستُلحق الضرر بسمعة المؤلف، ويضيف «**لن يصدقوا تنبؤاتك اليوم**». ومع ذلك، فقد تحققت بعض هذه النبوءات. .. يتتبع هذا الكتاب حياة شاب يبلغ من العمر 16 عامًا يبحث عن مكانٍ له في العالـم بعد التخرّج. عندما يسعى الأخير للانضمام إلى الجيش، يدرك أنه لـم تعد هناك حاجة للجنود لشنِّ الحرب، لأنهم جميعًا تقودهم الآلات والروبوتات.

أداء فني هولوغرافي

في كتابه «Le Château des Carpathes» الذي نُشر عام 1892، قدم Jules Verne واحدة من أغرب التنبؤات. .. تلك المتعلقة بالعروض الفنية الثلاثية الأبعاد. في الواقع، في هذه الرواية، يروي الكاتب قصة بارون يعيش في قلعة يفترض أنها مسكونة في ترانسيلفانيا. عندما يأتي زائر لاستكشاف المكان، يكتشف أن مُغنِّية الأوبرا التي ماتت منذ فترة طويلة مستمرة في الغناء للبارون كل يوم... أخيراً، ينتهي به الأمر إلى فهم أن ما يسمعه وما يشاهده في الواقع هو عبارة عن عرض مسرحي سابقٍ ثلاثي الأبعاد للمغنية المتوفاة.. هذا ما حدث خلال مهرجان كوتشيلا الموسيقي في عام 2013، حيث تمكن المتفرجون من حضور عرض لمغني الراب توباك، الذي توفي عام 1996، بفضل صورة ثلاثية الأبعاد.

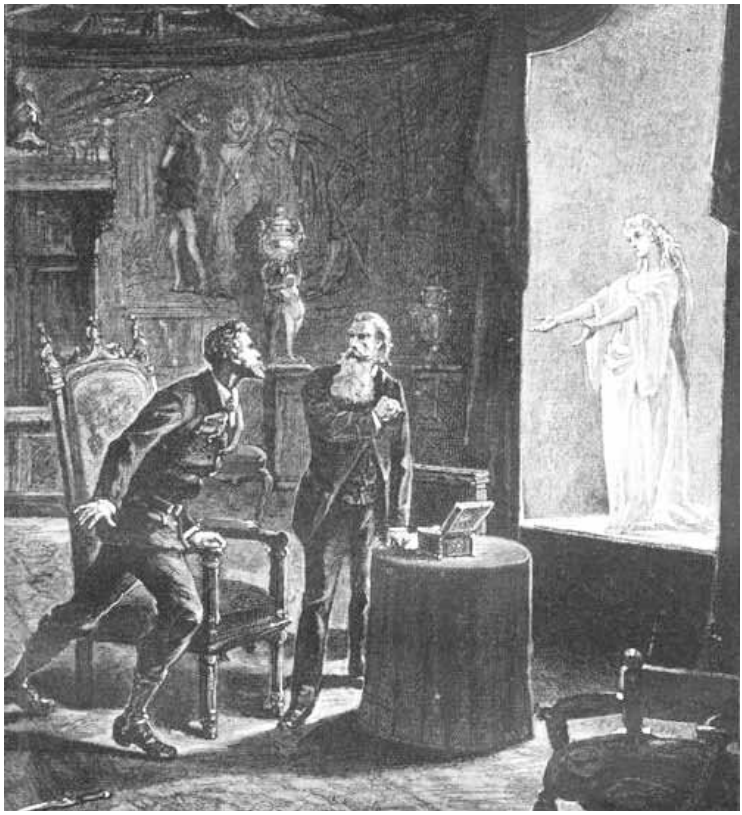

ثلاثية الأبعاد

الكرسي الكهربائي

مرةً أخرى في كتاب «باريس في القرن العشرين» الذي كتب عام 1860، توقَّع «جول فيرن»، على أقل تقدير، تنبؤات مزعجة. .. تنبؤ الكرسي الكهربائي. نظرًا لأن بطل الرواية، ميشال، يتعثر في بناء منصة تنفيذ عامة، فإن الطريقة المستخدمة للقتل لـم تعد فأس الجلاد، بل بالأحرى كرسياً متصلاً بالكابلات الكهربائية. وتجدر الإشارة إلى أن الخصائص الخطرة للكهرباء لـم تكن معروفة حتى عام 1863، عندما كان الكاتب قد كتب كتابه بالفعل. بالإضافة إلى ذلك، لـم تظهر فكرة قتل الأشخاص باستخدام هذه الطريقة حتى عام 1888، عندما تم بناء أول كرسي كهربائي في ولاية نيويورك.

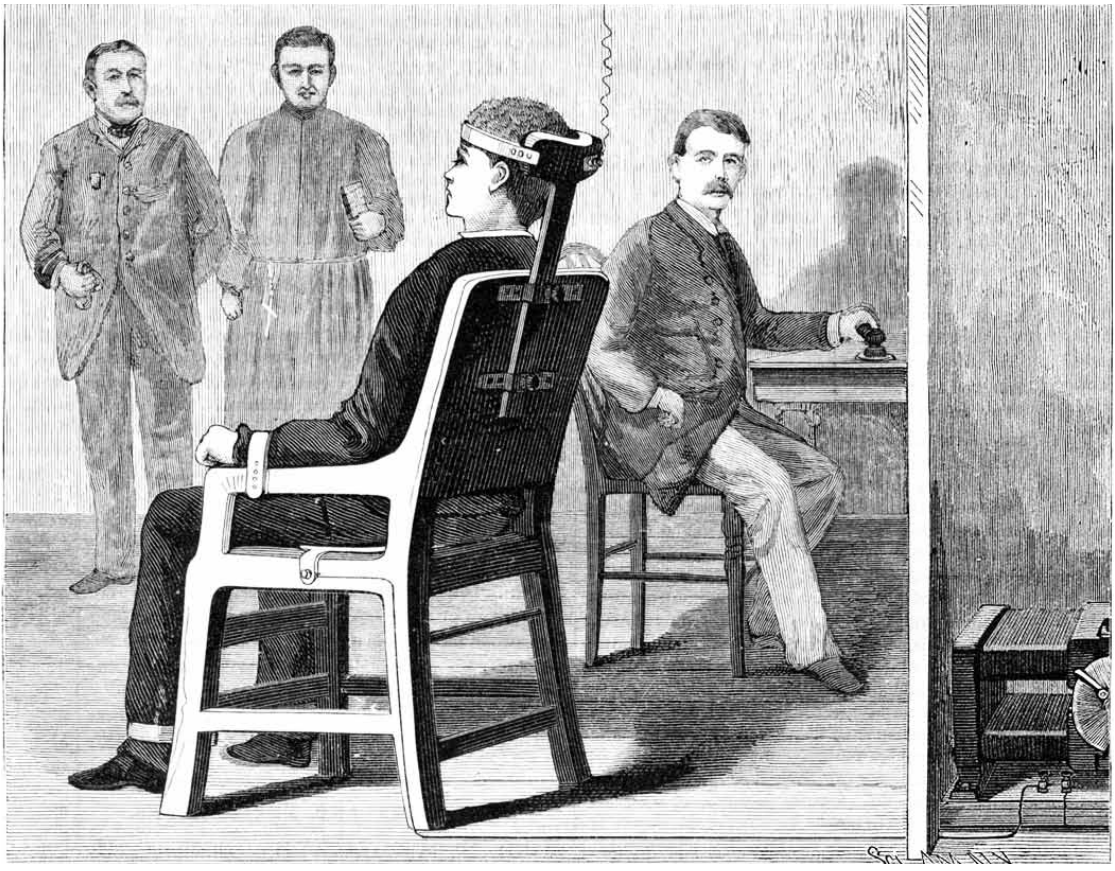

الكرسي الكهربائي

الصواريخ الموجَّهة

كانت العديد من اختراعات Jules Verne مملوكة لشخصيات ربما لـم يكن من المفترض أن يتمكنوا من الوصول إليها. وهكذا، تخيل الكاتب في كتابه «مواجهة العلم» الذي نُشر عام 1896، الـ Fulgurator، وهو سلاح غير مسبوق للدمار الشامل ابتكرته شخصية توماس روش. وهي تتألف من قذيفة محملة بمتفجرات شديدة القوة، وعند وضعها على حامل، وبعد تعديل اتجاه التصويب، تطلق النار حتى مسافة عدة كيلومترات قبل أن تنفجر. ألا يذكرك هذا بأي شيء؟

Fulgurator هو ابن عم الصواريخ الموجهة التي نعرفها اليوم والتي استخدمها الرايخ الثالث لأول مرة خلال الحرب العالمية الثانية.

الصواريخ

الأشرعة الشمسية

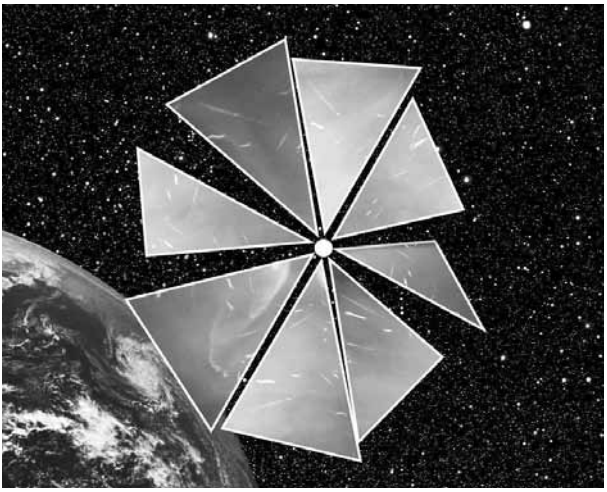

الأشرعة

مرة أخرى، قام Jules Verne بالعجائب في توقع الأشرعة الشمسية في كتابه «From the Earth to the Moon». لاحظ أن الشراع الشمسي هو جهازُ دفع يَستخدمُ ضغطَ الإشعاع المنبعثً من النجوم للتحرك في الفضاء مثل المراكب الشراعية. وهذا هو بالضبط ما توقعّه الكاتب في كتابه لتحريك كبسولته.

التجميد العميق

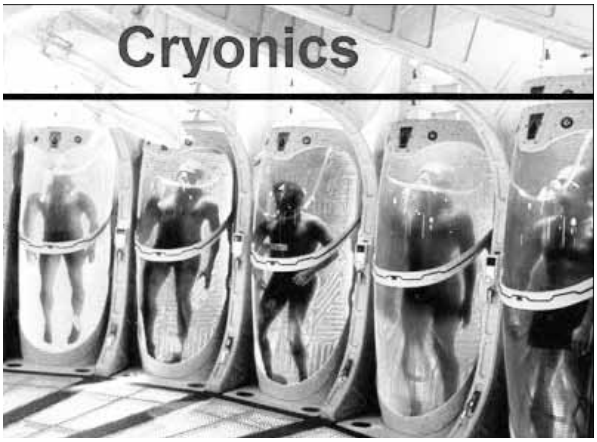

■ التجميد العميق

في رواية «يوم الصحفي الأمريكي عام 2889»، الذي كتب عام 1890، يتحدث «جول فيرن» عن السبات البشري. المبدأ: تعليق وظائفه الحيوية بتعريض جسده للبرد من 172 درجة ثم يولد من جديد. تم الاستشهاد بالتكنولوجيا منذ عام 1962، ولا يزال من غير الممكن إعادة الشخص المبَرَّد إلى الحياة.

القطار السريع

من المدهش حقاً أن فكرة قطار يقطع المسافات البعيدة في زمن قصير تضمنتها إحدى روايات «جول فيرن» الصادرة في العام 1895، وفيها تصوَّر الكاتب قطاراً يندفع بسرعة هائلة تحت تأثير الهواء المضغوط ليقطع المسافة بين أميركا وأوروبا في زمن وجيز، متخذاً مساره في نفق تحت المحيط الاطلنطي. وفي ذلك الوقت، أي وقت صدور الرواية، لـم تزد الفكرة على كونها نوعاً من خيال الروائي الطريف، حتى أن مجلة «ستراند»[3] (بطبعتها الامريكية) علَّقت عليها بقولها:«**أيُّ نوع من الإلهام هذا الذي أوحى إلى «فيرن» فكرةً مستحيلةً!**» فهل كانت فكرة كاتبنا مستحيلة حقاً؟ يبدو أن المجلة الأميركية صاحبة التعليق المذكور أخطأت التقدير، فها هو اليوم القطار السريع كما تخيّلته بنات أفكار كاتبنا قد أصبح واقعاً وحقيقة.

القطار السريع

3 «ستراند» مجلة إنكليزية شهرية تأسست من قبل جورج نيونس في عام 1890، وكان إصدارها الأول بتاريخ يناير 1891.نشرت المجلة مقالات واقعية بالإضافة إلى القصص القصيرة والمسلسلات الخيالية. نشرت المجلة أيضًا طبعة أمريكية من فبراير 1891 حتى فبراير 1916 وتوقفت الطبعة الاميريكية بسب الحرب العالمية الأولى.

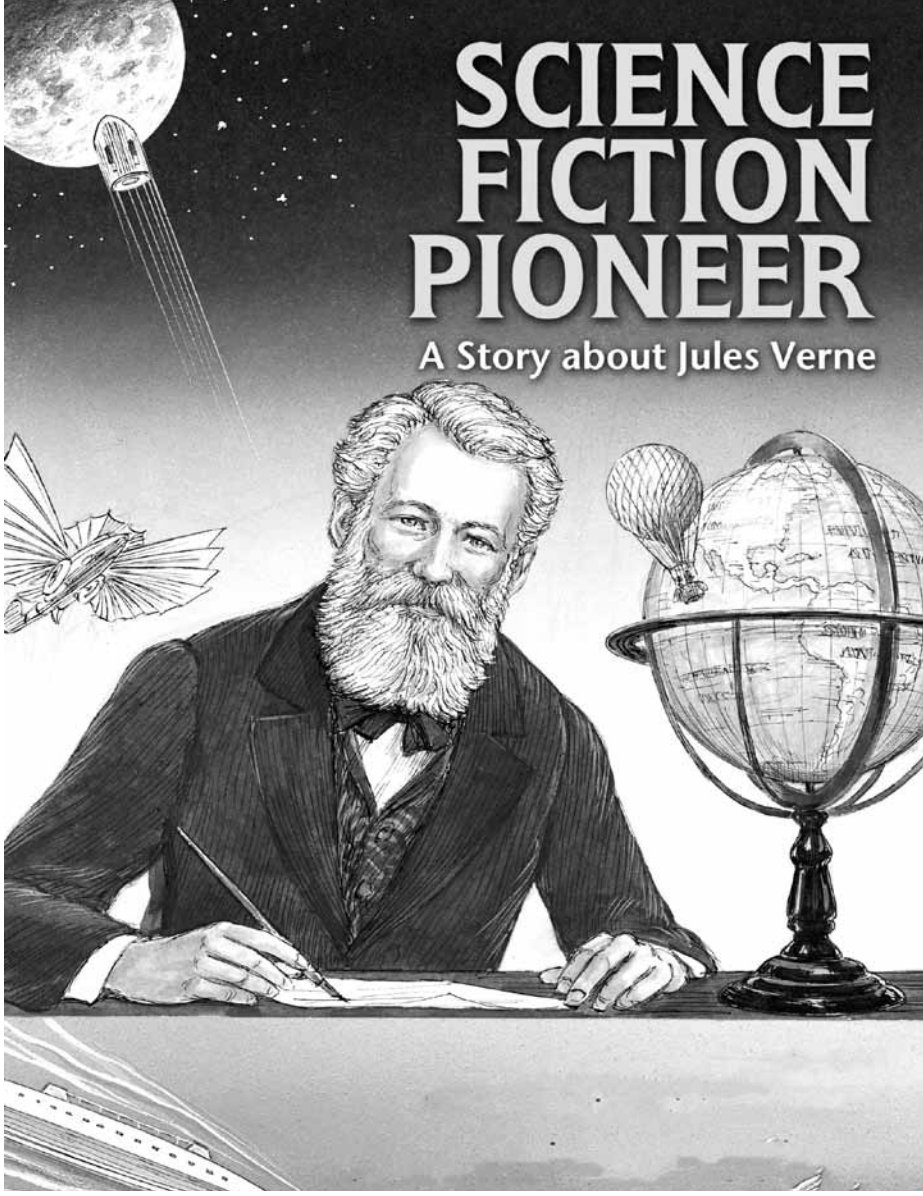

أراء بعض المتخصصين
حول توقعات «جول فيرن» العلمية

توقعات «جول فيرن» في مواجهة العلـم

Michel Clamen

في لقاء مع Michel Clamen (عالـم ومهندس تـولّى وظائف عديدة في أعلى المراكز الإداريـة الفرنسية وفي المفوضية الاوروبية).بمناسبة مرور مئة عام على وفاة «جول فيرن»، أجاب على عدد من الأسئلة ضمن مقابلة عنوانها «**بعد مئة عام: توقعات «فيرن» في مواجهة العلم**». كان السؤال الأول الذي وجِّهَ إليه : «**ماذا بقي من توقعات «جول فيرن» بعد مئة عام؟**». أجاب Michel Clamen: «امتلكَ «جول فيرن» عنصرين مهمين: العنصر الأول، أنه كان بطل ما نسميه نحن اليوم التكنولوجيا القديمة. كان على علـم بكلِّ شيء حديث في أيامه. أمَّا العنصر الثاني فهو الخيال الذي تمتّع به «فيرن» دون منازع. استطاع من خلال تلك الآراء الغريبة التي كانت تُطرح والتمنيات التي كانت تُطلق في فلك العلماء آنذاك عن أنَّ يوماً ما سنذهب إلى القمر وسنغوص في أعماق البحار والمحيطات، استطاع أن يستمدَّ منها أروع وأمتع الروايات».

ما هي أعظم توقعات «جول فيرن»؟

يجيب :«إنَّ غزوَ الفضاء في زمن «جول فيرن» لـم يكن أمراً تافهاً خاصة مع هذه الدقة في المعلومات. ذكر «جول فيرن» في روايته «رحلة من الأرض إلى القمر» أن القذيفة التي سترسل إلى القمر ستنطلق من نقطة محددة من مدينة فلوريدا المتواجدة على بعد كيلومترات عديدة من Cap Canaveral، وأن الرحلة ستكون مؤلفة من 3 رجال. و أول حيوان سيسافر إلى الفضاء هو الكلب، والمواد المستخدمة في بناء جسم هذه القذيفة هي مادة الألمينيوم. إن منصة الإقلاع التي استخدمت في الرواية مشابهة لتلك التي انطلقت منها رحلة «ابولو 11». وقال أيضًا إنه سيتم متابعة المهمة من مرصد كبير متواجد في Mont Rocheuses. في ذلك الوقت، لـم يكن هناك من مرصد موجود. أما اليوم فهناك مرصد «مونت بالومار» في كاليفورنيا الذي يُستخدم كثيراً لرصد المركبات الفضائية.لكن عكس ما توقع «جول فيرن»

في البداية فإن القذيفة لا يمكنها الوصول إلى القمر. إن خطأ «جول فيرن» الجسيم هو اعتقاده بأنه يمكن للإنسان أن يصل إلى القمر عبر قذيفة مدفعية.من الناحية العلمية، هذا أمر لا يمكن أن يحصل لأنَّ القذيفة ستنسحق هي ومن فيها تحت الضغط. الحلُّ الوحيد هو بإعطاء دفعات تدريجية لشكل صاروخٍ وليس قذيفة».

وطُرح في مكان آخر من المقابلة على العالـم Michel Clamen السؤال التالي: «**هل تعتقد أن في رواية باريس في القرن العشرين العلـم والتكنولوجيا يسيطران على كل شيء؟**»

أجاب: «نعم وبشكل قاطع. في رواية باريس في القرن العشرين، الكهرباء تحتل كل شيء، إنه عالمٌ لا إنساني لا مكان للشعراء فيه.هذه الرواية افتراضية، لكنها لـم تُنشر في العام 1860. تمنّع ناشرُهُ عن إعطاءِ الموافقة على نشرها لأنها ذات نظرة تشاؤمية، وكان المطلوب آنذاك الكتابة والتوجه للشباب بنظرة جديدة وإيجابية جداً....»

جزم Michel Clamen خلال اللقاء وإجابته عن الاسئلة أن «جول فيرن» اتجه في سنواته الأخيرة إلى كتابة الروايات ذات الطابع التشاؤمي والتي طرح فيها مواضيع إنسانية ومصيرية طغى عليها عامةً القلقُ والخوف من المصير والمستقبل. يُرجِّحُ «كلامان» أن يكون تَقدُّمَ الكاتبِ «جول فيرن» بالعمر قد زاد من نسبة التشاؤم لديه ورفع من نسبة القلق.

أسطورة العلـم

Michel Meurger

يقدّم Michel Meurger، وهو كاتب متخصص بالخيال العلمي والتكنولوجي ومدير المجموعة العلمية لمطبوعات Encrage، يقدّمُ من خلال هذه المقابلة تحت عنوان: «أسطورة العلم» تحليلاً علمياً دقيقاً حول الاختراعات العلمية في روايات «جول فيرن».

هل «فيرن» أول «روائي علمي»؟

Michel Meurger: «من بين حوالي ستين رواية، هناك حوالي عشر روايات فقط لـ«فيرن» تندرج تحت التخمين العلمي أو التكنولوجي بالمعنى الدقيق للكلمة. بخلاف ذلك، فهي بالأحرى روايات مغامرات من نوع ميشال ستروجوف، وقبل كل شيء رحلات عبر الرحلات غير المعروفة وغير العادية. لكن هذه الروايات العلمية العشر على وجه التحديد هي التي ضمنت، بطريقة ما، ثروة الكاتب بعد وفاته، وكانت موضوع تعديلات فيلمية ملحوظة. على سبيل المثال، فيلـم ريتشارد فلايشر عام 1954، والذي يلعب فيه جيمس ماسون دور الكابتن نيمو، وحيث يجد نفسه يكافح مع حبار ميكانيكي عملاق. .. نوتيلوس، مروحية روبور الفاتح، وبالتالي أشياء تكنولوجية لـم يخترعها، لكنه تمكن من تحديد موقعها في خيال محدد. يبدو لي أن هناك اتفاقًا بين الكون العقلي للمبدع الفردي والخيال الجماعي، وبشكل أدق الخيال العلمي الذي كان في ازدهارٍ كاملٍ في ذلك الوقت».

ويتابع: «من الواضح أن معرض باريس العالمي عام 1857 قد بَلوَرَ هذا الاهتمام. في الفصل 14 من 20000 فرسخ تحت البحر، يقارن «فيرن» كوة نوتيلوس، التي ينظر الأبطال من خلالها إلى العالـم البحري، بزجاج حوض مائي ضخم، وهذا ليس من أجل لا شيء: نموذجه هنا. حوض السمك العملاق من معرض 1867 الذي سمح للباريسيين بمشاهدة أكثر من 800 سمكة! في الرواية، يُظهر Verne مجتمعاً صغيراً يستمد قوته من المحيط، سواء من أجل الطعام أو الملابس. .. ومع ذلك،ففي ذلك الوقت، كانت تربية الأسماك في تطور كامل، وكانت خطط أحواض الأسماك من حوض Arcachon قد تمت وقُدّمتْ في المعرض العالمي».

بدلة الغطاس

Michel Meurger: «نعم، إنها مهمة جدًا. فهي التي تسمح لأبطال 20000 فرسخ تحت سطح البحر بإنجاز «جول» اتهم تحت الماء، ومطارداتهم، وما إلى ذلك. في ذلك الوقت، كان الغواص يتحول إلى بطل العلم أثناء التنقل. قدَّمَ ألفونس إسكيروس - وهو رومانسيٌ نُفيَ إلى إنجلترا بعد انقلاب 2 ديسمبر 1851، الغطاس على أنه «فارس البحار المتجول الذي يفتح الطريق أمام مغامرات العقل للعلم». لدينا انطباع بأن الكابتن نيمو يتحدَّث، ونحن نفهم أن بدلات الفضاء تبهر «فيرن». حتى لو لم يكن هذا الأخير بالفعل سلف القائد كوستو – لم يكن اقتراحه لتحسين بدلات الغوص صادمًا – يمكننا القول أن عالم الكابتن نيمو قد أثار بالتأكيد العديد من المهن لعلماء المحيطات. بالنسبة لي، فإن Verne ليس سلفًا أكثر من الرجل الذي، على المستوى الأدبي، كان قادرًا على الاستفادة من الاقتراحات والنصوص التي قرأها ونصوص الترويج والنصوص من قبل الروائيين، لبناء تصوّرٍ وهميٍ للبدء من العناصر المقدمة له من الأخبار».

في مجمل ما جاء لاحقاً في تكملة مقابلة Michel Meurger تأكيدٌ على فكرته الأولى التي انطلق منها جوابه الأول، أن «جول فيرن» لم يكن روائياً علمياً تنبأ بالاختراعات، إنما كان كاتباً نبيهاً استفاد من كل ما كان يدور حوله من اكتشافات واختراعات وتغييرات، وتحدَّث عنها دون أن يكون صاحب تنبؤاتٍ.

قراءة الطفولة

Michel Butor

كتب الروائي والكاتب Michel Butor حول «جول فيرن» ما يلي: يخبرنا بروست: «ربما لم تكن هناك أيام من طفولتنا عشناها بشكل كامل مثل تلك التي اعتقدنا أننا تركناها دون أن نعيشها، تلك التي قضيناها مع كتابٍ مفضل». وفي نهاية جملة من سدوم وعمورة، نراه يكشف إحدى شخصياته: «الهواء اليقظ والمحموم لطفلٍ يقرأ روايةً لجول فيرن». لا شك أنه كان ذلك الطفل.

من يقرأ أفضل من الطفل؟ سيقال: يفتقر إلى العلم ؛ هناك أشياء كثيرة في الكتب لا يستطيع فهمها، أشياء كثيرة يجب ألا يفهمها ؛ يفتقر إلى الكثير من الكلمات، الكثير من الخبرات. ولكن يا لها من رغبة في فهم هذه الكلمات المجهولة، أي اهتمام، أي عرافة!

القراءات التي نتأثر بها لا يمكن محوَها. كيف يمكن للكتب التي نقرأها كبالغين، بمجرد أن نعرف أو نعتقد أننا نعرف هذه الكلمات الشهيرة، أن يكون لدينا هذه التجارب والمراجع الشهيرة، أو نصدقها، كيف يمكن أن تجعلنا ننسى أولئك الذين أعطونا تلك الكلمات؟

في الماضي، لم يكن هناك كتب للأطفال. وسيقال حكايات. لكنها لم تكن كتباً حتى «بيرولت» في فرنسا والأخوان «جريم» في ألمانيا. كانت كتب الطفولة في السابق، هي كتب المدرسة، وكتب لغات المدرسة، والأدب اليوناني واللاتيني؛ يقرأ الآباء الروايات والجرائد وأطفالهُم يدرسون هوميروس وفيرجيل وبلوتارخ. كانت هذه هي كتب طفولة العصور القديمة. منذ اللحظة التي يترك فيها الأدب اللغة اللاتينية بشكل نهائي، أو أن هذه الناجية قد بدأت معاناتها الطويلة الثانية، سوف يتطلب الأمر كتابة أدب للشباب بلغة سهله، لسد الفجوة التي تتسع بين الطفولة القديمة التي عرفها الأهل والحاضر، لذلك رحلة إلى العصور القديمة.

بالتخلي عن العروض الكوميدية للبالغين، واتخاذ قرار الكتابة للأطفال، لمجلة التعليم والترفيه، هذا هو العالـم الذي قرر Jules Verne استكشافه. من خلال عملٍ موسوعي، يجمع كلَّ آداب الأسفار ووصف عوالـم معروفة فقط من قبل بعضِ البالغين، أو السماح بتخيّل عوالـم مجهولة، حيث لـم تطأ قدم أحد أبدًا ولكن لا يمكن لأحد إنكار وجودها.

حقيقة أن هذه الصورة الجديدة للعالـم مبنية بشكل منهجي مما لا يستطيع الكبار إنكاره، ستسمح لها بالبقاء بمجرد وصول الطفل إلى سن النضج. إن عمل Jules Verne، بكل تواضعه الرائع، يلعب دوراً حاسماً في الحضارة العالمية....

العيش في أعماق البحار تجربة لا يمكن الاستغناء عنها

Jacques Rougerie

مستكشفًا رائعًا للمساحات المحيطية، Jacques Rougerie، كان يبحث في التفاعلات بين الإنسان وبيئته البحرية لسنوات عديدة. في مقابلة أجراها معه Jean Remi Dauling سنقتطع منها الجزء الذي تناول فيه «جول فيرن».

هل كان «جول فيرن» هو من أرشدك إلى البحر؟

Jacques Rougerie: عندما كنت مراهقاً، انجذبت بسرعة كبيرة بخيال Jules Verne الذي عرف كيفية إضفاء الطابع الرومانسي على عبقرية الإنسان الإبداعية وحاجته إلى المغامرة. ثم عشتُ على إيقاع كاليبسو والشخص الذي سيصبح، لجيلٍ كاملٍ، نصفَ إلهِ المحيطات، جاك إيف كوستو.

البحر كان عزيزاً على «فيرن»، هل ما زال هناك «قارة جديدة» يجب اكتشافها؟

Jacques Rougerie: تمامًا! نحن فقط في بداية اكتشاف المساحات المحيطية والآليات البحرية، سواء كانت تيارات رئيسية، أو علـم الأحياء، أو الكائنات الحية الدقيقة، أو علـم العقاقير، إلخ. نحن نعرف المبادئ الأساسية، ولكن لا يزال هناك الكثير من العمل الذي يتعيَّن القيام به.

«جول فيرن» يجعل الكابتن نيمو يقول: «البحر ليس للمستبد». هل تشعر أنك قريب منه؟

Jacques Rougerie: نعم، لكنني لا أتفق تمامًا مع الكابتن نيمو عندما يرفض العالم. لديه حساب عليه أن يصفيّه مع البشر بينما أنا لا أفعل ذلك على الإطلاق. على العكس من ذلك، أنا أؤمن بالناس وأؤمن بالقيمة الفلسفية للبشر وبحقيقة أن الناس سيتمكنون تدريجياً من التكيّف، وفقًا لمواقف معينة. أنا لست روسو على الإطلاق، فأنا أدرك أن كلَّ شيء ليس كاملاً وأن الإنسان هو حيوان مقدس مدمر.

السباق إلى غزو الفضاء

رحلة السوفييتي يوري غاغارين، حول الأرض أرعبت الولايات المتحدة خوفاً من خسارة سباق الفضاء وتفوّق السوفييت

القمر الصناعي الروسي Sputnik 1

بدأ سباق الفضاء للوصول إلى القمر في 4 تشرين الأول 1957،عندما أرسل الاتحاد السوفييتي أول قمر صناعي إلى مدار حول الأرض. وأثـار هذا القمر (Sputnik 1) الرعب في الولايات المتحدة.

تمثَّل الرعب الكبير في أن يستخدم الاتحاد السوفييتي، عدو أمريكا في الحرب الباردة، هذا القمر الصناعي لاستهداف الأراضي الأمريكية بقنابل ذرية من الفضاء.

وعندما أرسل السوفييت أول إنسان إلى الفضاء، يوري غاغارين، وأكمل أول دورة حول الأرض.بمركبة مأهولة بالبشر وكذلك قام بأول سير في الفضاء، خشيت الإدارة الأمريكية أن يُعدَّ هذا التفوق التكنولوجي للكتلة الشيوعية دليلاً على تفوقها الإيديولوجي.وقد واجهت أمريكا تهديداً لأسلوب حياتها.

وجاء الردُّ الأمريكي سريعاً، ليعلن الرئيس جون كينيدي، في عام 1961، عن خططه لإرسال روّاد فضاء إلى القمر، وليس فقط للدوران حول الأرض مثل السوفييت.

وبعد عام فقط، وقف كينيدي في جامعة رايس في هيوستن، بأناقة وإشراق، ليحضَّ الشعب الأمريكي على الموافقة على مشروع الوصول إلى القمر.

وقال كينيدي للجمهور: «نختار الذهاب إلى القمر في هذا العقد والقيام بالأشياء الأخرى، ليس لأن الأمر سهلٌ، ولكن لأنه صعبٌ، لأن هذا الهدف سوف يساعد في اختبار وتنظيم أفضل طاقاتنا ومهاراتنا، وهذا هو التحدي».

وأضاف: «نحن على استعدادٍ لقبوله (التحدي)، ونحن غير مستعدين للتأجيل، ونعتزم الفوز به، وكذلك يريد الآخرون».

«كينيدي أعلن أمام الكونغرس عام 1961 إطلاق برنامج لإرسال البشر إلى القمر لمواجهة التفوق السوفييتي»

بعد سبع سنوات فقط، كان الطاقم المكوَّن من قائد الرحلة نيل أرمسترونغ، ومعه إدوين «باز» ألدرين ومايك كولينز، في طريقه إلى القمر.

رحلة «أبولو 8» واللقاء مع حفيد «جول فيرن»

طاقم أبولو8، من اليسار: لوفل، أندرس، بورمان

كان السباق محتدماً بين الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي سابقاً إلى غزو الفضاء منتصف القرن العشرين الماضي. وكان الاتحـاد السوفياتي قد نجح بإرسال مركبة فضائية تخطَّتْ الغلاف الجوي للكرة الأرضية ووصلت إلى الفضاء وكان على متنها يوري غاغارين. بعد هذه المحاولة، اشتعلت نيران السباق الى أن استطاعت الولايات المتحدة أن ترسل تباعاً بعثاتٍ فضائيةً مأهولةً حتى نجحت في إرسال صاروخ مأهول بروَّاد فضاء استطاعوا أن يدخلوا مدارً القمر. وكانت هذه الرحلة هي «أبولو 8» قبل أن ينجحوا بعد ذلك بالوصول إلى القمر وأن يمشوا على سطحه.

بعد أن انطلقت المركبة أبولو 8 في 21 ديسمبر 1968 بواسطة الصاروخ Saturne 5، حاملةً روَّادَ الفضاء وهم فرانك بورمان Borman وجيم لوفل Lovell ووليام اندرس Anders، وبعد أربعة أيام، أي في 25 ديسمبر 1968 دخلت أبولو 8 في مدارٍ حول القمر. فكان الروَّاد بورمان ولوفل واندرس هم أول من حلَّقَ ودار حول القمر من البشر، وأول من شاهد الجانب الخلفي البعيد من القمر بشكل مباشر والذي لا يمكن رؤيتهُ من الأرض. وخلال الرحلة دار الرواد عشر مرات حول القمر على ارتفاع من سطحه يبلغ نحو 65 كيلومتراً، والتقطوا صوَراً عديدةً لملامح سطح القمر من بينها ملامح الجانب الخلفي. وكذلك التقطوا صوَراً لمواقع يمكن أن تكون فيما بعد أماكن لهبوط رواد الفضاء خلال رحلاتهم إلى القمر طبقاً لمشروع أبولو لغزو الفضاء.

وبعد الدورة العاشرة، شغَّلَ الروادُ المحركَ الرئيس الذي يعطي المركبة الفضائية تسارعاً أكبر من تسارع جاذبية القمر، وبالتالي تترك المركبة مجال القمر تدريجياً متخذةً مساراً نحو الأرض. وفي 27 ديسمبر هبطت أبولو 8 بسلام في مياه المحيط الهادي، منهيةً مهمةً تاريخيةً تمهّدُ الطريق للهبوط على القمر.

وبين 5 إلى 7 شباط من العام 1969، زار Frank Borman قائد رحلة «أبولو 8» ترافقه زوجته سوزن وولديه فريديريك وإيدون، زاروا جميعاً باريس. زارتْ عائلةُ بورمان في الواقع 8 دول أوروبية من بينها الفاتيكان وفرنسا، وجاء ذلك بطلب من رئيس الولايات المتحدة الأميركية آنذاك ريتشارد نكسون. كان الهدف من هذه الجولة اظهار أن الولايات المتحدة الأميركية لا تعتبر أن اكتشافاتها الكبيرة في الفضاء هو حكراً لها، لا بل تريد مشاركة تلك المعارف الجديدة مع بلدان أخرى، وتأمل الولايات المتحدة الأميركية التعاون مع جميع سكان الأرض لاكتشاف الفضاء سويةً.

لقطات مختلفة من رحلة فرانك بورمان إلى فرنسا واللقاء الذي جمعه بالرئيس الفرنسي آنذاك الجنرال ديغول وحفيد «جول فيرن» السيد جان «جول فيرن»

وصل فرانك بورمان مع عائلته صباح 5 شباط على متن طائرة «بوينغ 707» تابعة للبيت الأبيض والتي هبطت في مطار «أورلي». كان في استقبالهم السفير الأميركي في فرنسا «سرجينت شريفر»، شقيق زوجة الرئيس جون كندي الذي كان قد اغتيل في 22 نوفمبر العام 1963 في دالاس. كما استقبلهم رئيس مجلس باريس برنارد روشيه الذي أهدى فريديرك بورمان، الابن البكر لفرنك بورمان، نسخةً من رواية «من الأرض الى القمر» للكاتب الفرنسي «جول فيرن».

في اليوم التالي، زار فرانك بورمان الجنرال ديغول في الإليزيه بمفرده، وتابع بعد ذلك الزيارات المعدَّة سابقاً ضمن هذه الجولة قبل أن يعود مع عائلته إلى بلاده في 7 شباط. لكن، ومن خلال ما ذكره فرانك بورمان في مذكراته، أن أهم وأعظم ما حصل معه خلال جولته في فرنسا كان اللقاء الذي جمعه بحفيد الكاتب الكبير «جول فيرن»، جان «جول فيرن»، من خلال احتفال أقيم لهذه المناسبة حيث قدّم فرانك بورمان لجون «جول فيرن» لوحةً تضمنت على الشمال رسمة مأخوذة من كتاب جده «جول فيرن» مرسوم فيها العبوة التي دار بها الاشخاص الثلاثة حول القمر وعادوا بها لتسقط بهم في محيط الباسيفيك، وفي وسط اللوحة ورقة عليها لوغو «ناسا» ومكتوب فيها كلمة بخط يد فرنك بورمان وممهورة بإمضائه، وعلى جهة اليمين صورة فوتوغرافية لكبسولة «أبولو 8» التي أعادت روادها الثلاثة والتي كان موقع سقوطها أيضاً محيط الباسيفيك، كما ذكر «جول فيرن» في روايته «من الأرض إلى القمر» في العام 1865.

اللوحة التذكارية المقدمة من قبل فرانك بورمان إلى جان «جول فيرن»

وحين كان يشاهد حفيد «جول فيرن» إطلاق رحلة «أبولو 8» تذكَّر كلمات جدِّه «جول فيرن» حين قال : «**أعرفُ أنكَ سترى رجالاً ذهبوا إلى القمر**».

حتى نيل أرمسترونغ....

والشاهد الأكبر على أن «جول فيرن» كان ملهماً ومؤثراً على مدى سنوات وعقود، هوكلمة «نيل أرمسترونغ»، أول إنسان وضع قدمه ومشى على سطح القمر، في آخر بث متلفزٍ له من المركبة الفضائية «أبولو 11» قبل عودتها إلى الأرض، وبعد أن أتمَّت المهمة التاريخية بالهبوط على القمر، قال نيل: «**مساء الخير. ..معكم قائد رحلة «أبولو 11». منذ مئة عام، كتب «جول فيرن» روايةً عن رحلةٍ الى القمر. كانت مركبته الفضائية «كولومبيا» قد اطلقت من فلوريدا وفي عودتها هبطت في محيط الباسيفيك بعد أن أتمَّت رحلتها إلى القمر. يبدو أن «كولومبيا» الوقت الحالي، أي مركبة «أبولو 11»، تتحضَّر للعودة إلى الأرض وستهبط أيضاً في محيط الباسيفيك.** ...»

المراجع

- **Autour de Verne: «Vivre sous la mer est une expérience irremplaçable!»**, «Jules Verne en 80 jours»,Cite des sciences, Jacques Rougerie,2005

- **Bibliography de Jules Verne ,Collection : Jules Verne(1828-1905)**,www.RenePaul.net

- **Cent ans après : les anticipations de verne face à la science**, «Jules Verne en 80 jours»,Cite des sciences, Michel Clamen,2005

- **Jules Verne et le programme Apollo, ou lorsque la fiction devient réalité**, publie le 3 février 2018

- **Jules Verne vue par Andre Laurie**, LE TEMPS,26 MARS 1905

- **Jules Verne vue par Leon Blum**, L'humanité, 3 Avril 1905

-**https://julesverne.nantesmetropole.fr/home/approfondir/la-vie-et-loeuvre-de-jules-verne.htm#article**

- **La légende de la science**, «Jules Verne en 80 jours», Cite des sciences Michel Meurger, 2005

- **Lectures de l'enfance**, «Jules Verne en 80 jours»,Cite des sciences, Michel Butor, 2005

- **Lorsque le petit-fils de Jules verne rencontre un homme ayant fait le voyage de la Terre a la Lune**, publie le Décembre 2018

- **Verne avait vu que la science,la technologie et la capitalisme allaient se renforcer mutuellement**, «Jules Verne en 80 jours»,Cite des sciences, Jean Verne,2005

- **Science, machine et progres chez jules verne**, jean chesneaux , gallica bibliotheque numerique

- **Technologies prédite par Jules Verne ,écrivain et visionnaire de génie,** Joana Pimenta,dailygeekshow.com, PUBLIE LE 7 septembre 2018

مراجع باللغة العربية

- «**أبولو 11: كيف وحدت رحلتها للهبوط على القمر البشرية جمعاء**»، موقع بي بي سي الالكتروني، منشور في 20 تموز 2019
- **الروائي الفرنسي «جول فيرن»: الخيال العلمي ومستقبل البشرية**، زيد خلدون جميل، منشور الكترونياً في 8 آذار 2021
- **الصحافة المتخصصة**، د.محمد خليل الرفاعي، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، سنة 2020
- «**ناشراً أديباً وصديقاً**»، الدكتورة زينب عبد العزيز، مقال منشور إلكترونياً بتاريخ 25 كانون الثاني العام 2014
- **خيال الروائيين وتفكير العلماء أنجبا القطار عابر القارات، قطار المستقبل**، عبد الرحمن عبد اللطيف النمر، مجلة العربي العلمي، العدد الحادي عشر– نوفنبر 2012

المحتويات

تمهيد 5
مئة عام على وفاة «جول فيرن» 9
حياة وسيرة الكاتب «جول فيرن» 15
جول الصغير 16
جول المراهق والشاعر 19
التحوّلات الكبرى في القرن التاسع عشر 21
الدراسةُ في باريس 23
ولادة «جول فيرن» الكاتب 27
رواية «باريس في القرن العشرين» 29
الناشرPierre Jules Hetzel 32
بين «جول» وبيار 36
مراحل ومحطات مهمة في حياة «جول فيرن» 39
جول فيرن في الصحافة الأميريكية 45
«جول فيرن وصل إلى الهدف» 47

الكاتب الكئيب 48
التأثير الإيجابي لأدب فيرن 49
جورج ميلياس وفيلمه عن رواية «رحلة الى القمر» 50
أعمال «جول فيرن» 52
بين الخيال والواقع 55
العوامل المساعدة 61
تنبؤات «جول فيرن» 65
أراء بعض المتخصصين حول توقعات «جول فيرن» العلمية 76
السباق إلى غزو الفضاء 84
المراجع 92

جول فيرن
خيالٌ على ورق تحّول الى حقيقة

مضى ١١٦ عام على رحيل جول فيرن، ولم ينسَ العالم ما قدّمه هذا الكاتب صاحب الرؤية المستقبلية و«التنبؤات» العلمية والإنتاج الغزير، المجبول بالتعب والمتابعة والحصول على أدقّ المعلومات العلمية والجغرافية والحسابية والفلكية والهندسية. وتسخيرها في خدمةَ الإنسان ضمن قالب قصصي مشوق. لا يمكن أن نقول عن جول فيرن، الكاتب الفرنسي الذي ولد في أوائل القرنَ التاسعً عشر إلا أنه نابغة عصره، ولم يُقدّر كما يجب حتى الساعة.

جوانب كثيرة من عالم جول فيرن الكاتب لم يسلط عليها الضوء ولم تأخذ حيزاً واسعاً من التحليل. كان جول فيرن شاعراً وكاتباً مسرحياً و قصصياً وصحافياً من الطراز الرفيع، وعاشقاً للجغرافيا وللعلوم الطبيعية ومحللاً واسع المعرفة. استطاع أن يقطف ثمار نضوج العلوم والاستكشافات والتحولات في منتصف القرن التاسع عشر، و أن يمزجها ويعمل على أدق تفاصيلها ويتابعها حتى الوصول الى تصورات علمية ،وإنجازات تكنولوجية تحقّقَ الجزء الأكبر منها في عصرنا الحالي.

كيف استطاع جول فيرن ابن القرن التاسع عشر أن يستشرف المستقبل ،وأن يطلق في رواياته سلسلة إنجازات واختراعات صُنّفتْ في يومه على أنها من نسج الخيال لكنها تحولت في القرن العشرين إلى واقع وحقيقة؟

كيف استطاع أن يكون دقيقاً في إعطاء المعلومات الجغرافية والعلمية والهندسية والفلكية برغم أنه مجرد كاتبٍ؟

ربما سنجد الأجوبة بين صفحات هذا الكتاب الذي نضعه بين أيديكم اليوم.

منشورات مكتبة السائح
www.saehlib.com